

الباب الرابع

أحياء آل البيت ميدان السيدة زينب

كان اسمه ميدان : قناطر السباع !

المصريون من أكثر شعوب المسلمين حبًا وعشقًا لآل البيت . . وأى دارس لأسماء المصريين يجد أن المصريين يفضلون إطلاق أسماء آل البيت على أولادهم ، فهم في أسماء الأولاد يفضلون أسماء : محمد . . أحمد . . مصطفى . . وعلى . . وحسن . . وحسين . . وفي أسماء البنات يفضلون أسماء : عائشة . . فاطمة . . خديجة . . زينب . . آمنة . . سكينه . . نفيسة . . وهكذا .

والمصريون من عشقهم لآل البيت تحلقوا حول كل من وصل منهم إلى مصر ، وعاشوا حولهم ، وتقربوا منهم طلبًا لعلمهم وذكرياتهم ونصائحهم ، وفتاواهم في الدين والدنيا . .

ولقد أتى لمصر أحياء عديدين من آل محمد رسول الله ﷺ ، ومنهم من جاءوا ولكن بعد استشهادهم . . والتف المصريون حول الأحياء . . فلما ماتوا حولوا بيوتهم إلى مساجد ، يؤدون فيها فريضة الصلاة . . وأما من جىء بهم شهداء حولوا قبورهم إلى مشاهد مثل الإمام الحسين زينة شباب أهل الجنة . . وتحولت هذه المساجد وتلك المشاهد إلى مركز للحياة أقام حولها وبالقرب منها جمع غفير من المصريين . . وظلوا - ومازالوا - يحيون ذكرى هؤلاء وهؤلاء . . ذكرى ميلادهم . . أو رحيلهم .

والذين أتوا مصر وعاشوا فيها أو جىء برؤوسهم شهداء لتدفن في ثراها كثيرون هم : السيدة زينب . . والسيدة عائشة والسيدة نفيسة والسيدة سكينه والسيدة رقية والسيدة

فاطمة النبوية . . والحسين وزين العابدين . . ونضيف إليهم حى الأزهر الذى ينسب إلى فاطمة الزهراء . .

وتحولت مساجد آل البيت فى مصر إلى مراكز سكانية وأحياء عامرة بالحياة والسكان يستمد منها السكان البركة والخير . .

واللافت للنظر أن معظم أحياء آل البيت النبوى الشريف فى القاهرة المحروسة تتجاوز وتأخذ شكل مثلث متكامل الأضلاع . .

فحى السيدة عائشة فى الشرق . . وحى السيدة سكينة فى الغرب وبين جامع السيدة عائشة فى الشرق ، وجامع السيدة سكينة فى الغرب ، نجد جامع السيدة نفيسة . . ومدافن السيدة نفيسة للمسلمين ، وإذا تركنا هذا المثلث المبارك واتجهنا غرباً نجد تلؤلؤ زينهم جنوبى موضع القطائع وقلعة الكيش . وهذا المثلث يقودنا غرباً إلى حى السيدة زينب وجنوباً نجد المديح وشارع وميدان السلخانة فالمديح نفسه . . وبين سكة المديح وشارع السلخانة نجد جامع سيدى على زين العابدين . . وغير بعيد عن شارع سيدى حسن الأنور . . وفى أقصى شرق القاهرة وعلى حافة تلال الدراسة وجبل المقطم نجد حى الأزهر والحسين : الأخ والأخت . . الإمام الحسين . . وفاطمة الزهراء . وغير بعيد عنهما مسجد فاطمة النبوية . .

تعالوا لنطوف بأحياء آل البيت ، ونروى كيف نشأ الحى ومتى . . وما حكاية صاحب المسجد أو صاحبتة ، وما حكايتها مع مصر والمصريين ، ثم كيف تطور كل حى إلى أن صار معلماً من معالم القاهرة المحروسة .

تعالوا نبدأ بالسيدة زينب وحى السيدة زينب . .

أم الهواشم ... يا طاهرة

حول جامع السيدة زينب نشأت حياة حافلة بالنشاط . . ربما بسبب الموقع الجغرافي المميز ؛ فالجامع في موقع يبدأ منه شارع بورسعيد - الآن - الخليج المصرى سابقاً . . وقبل أن يصبح هذا مجرد شارع من أطول شوارع المحروسة . . كان يجرى مكانه الخليج المصرى ، الذى حمل أحياناً اسم خليج أمير المؤمنين . . هذا الموقع لم يفقد أهميته على مر السنين ؛ فقد عاش الموقع فترة ذهبية عندما كان الخليج يمر أمامه . . وكان في هذا الموقع قنطرة السباع التى أنشأها الظاهر بيبرس وموقعها بميدان السيدة زينب الحالى أى أمام مسجد السيدة زينب ، الذى لم يكن معروفاً في ذلك الوقت ؛ إذ لم يذكره المقرئى في خطه وهو المتوفى عام ٨٤٥هـ ، بينما بنى الظاهر هذه القنطرة في هذا الموقع فوق الخليج خلال حكمه ، الذى استمر من ٦٥٨ هـ إلى ٦٧٦ هـ .

وقد نصب بيبرس على هذه القنطرة سباعاً من حجارة ، وكان السبع هو شعار بيبرس ؛ لذلك عرف حى السيدة زينب أيام بيبرس باسم « خط قناطر السباع » . والطريف أنه عندما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطانى في منطقة بستان الخشاب ، جنوب شرقى قصر العينى ، ادعى أنه يتضرر من العبور فوق قناطر السباع لارتفاع القنطرة . . أمر بإعادة بنائها وأزال السباع ، غير أنه من ذكر السلطان بيبرس ، وكان هذا عام ٧٣٥هـ كما ذكر المقرئى ، وكما قال محمد كمال السيد محمد في كتابه أسماء ومسميات من مصر القاهرة ص - ١٠٢ . وقد تولى هدم القناطر وإعادة البناء الأمير علاء الدين المروانى الى القاهرة ، ولكن السلطان الناصر أعاد بناء السباع من

جديد لما اشتد انتقاد الناس لتصرفه هذا . وظلت السباع قائمة حتى شوه صورتها الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر . وهو نفس الرجل الذى شوه وجه تمثال أبى الهول . وقد أنشأ الناصر محمد هذا ٧ قناطر على الخليج المصرى .

المهم أن موقع حى السيدة زينب يحيط به من الشمال : الهياثم والناصرية ، ومن الشرق بركة الفيل واللبودية ، ومن الغرب حى المنيرة وشارع المبتديان . وأبرز شوارع السيدة زينب : شارع الخليج المصرى ، وفى غربه شارع الوفدية . أما جامع السيدة زينب فيتوسط شوارع الحى العريق ، وبجواره قسم شرطة السيدة وشارع السيدة زينب، ومنه تتفرع حارة الحوض المرصود ؛ حيث المستشفى الشهير للأمراض الجلدية والتناسلية ، وهذه الحارة توصلنا إلى بركة الفيل ؛ حيث جامع حسن باشا طاهر ثم شارع نور الظلام الذى يؤدى إلى حى الخلمية . ومن أبرز معالم الحى العريق نجد المدرسة السنية للبنات وبجوارها حارة مونج ، أحد أبرز علماء الحملة الفرنسية بقيادة بوناپرت على مصر عام ١٧٩٨م ، وفى هذه الحارة البيت الذى اتخذته بوناپرت مقرًا للمجمع العلمى المصرى . وفيه تم تجميع المعلومات التى ظهرت فيما بعد على شكل كتاب « وصف مصر » ، الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية . وغير بعيد عنه نجد شارع قدرى وشارع عبد المجيد اللبان وشارع السد البرانى .

وخلف قسم الشرطة نجد شارع مراسينه ، الذى يؤدى إلى الحوض المرصود وجامع لاشين السيفى . ومن أبرز معالم حى السيدة مبنى دار الهلال ، الذى أقامه جورجى زيدان وتصدر عنها عدة مجلات أبرزها المصور . . والكواكب . . والهلال . . وروايات الهلال . . وحواء . . وسلاسل من مجلات الأطفال . . إلخ . وغير بعيد عن دار الهلال وفى شارع محمد بك عز العرب - سابقًا شارع المبتديان - نفسه كانت هناك مدرسة دار العلوم التى أصبحت كلية ، قبل أن تنقل من هذا المكان ويتحول مكانها إلى حديقة عامة تحمل اسم حديقة دار العلوم . . وفى الشارع نفسه هناك مستشفى حكومى كبير، هو مستشفى المنيرة العام وكان اسمه مستشفى الملك ، وعلى حدود حى السيدة زينب مع حى المنيرة نجد المعهد العلمى الفرنسى ومدرسة الحقوق الفرنسية ، كما جاء فى خريطة مصلحة المساحة عام ١٩١٢م ثم مدرسة المعلمين العليا . وكان يفصل بين حى السيدة وحى المنيرة خط سكة حديد حلوان ، الذى يمر بشارع منصور .

وغير بعيد عن مركز شرطة السيدة زينب نجد متحف نابوليون . . وبالقرب منه بيت السنارى الشهير ، ويبدو أن متحف نابوليون الوارد ذكره فى هذه الخريطة هو مقر بيت إبراهيم كتخدا السنارى فى حارة مونج ، الذى كانت تجتمع فيه مجموعة علماء الحملة الفرنسية . على الضفة الشمالية لشارع السيدة ، بينما جامع السيدة على الضفة الجنوبية غير بعيد عن شارع الكومى ، الذى هو امتداد شارع خيرت المؤدى إلى ميدان لاذ أوغلى .

ومن أشهر من عاشوا فى هذا الحى العريق الأديب الكبير يحيى حقى ، الذى كتب روايته الخالدة « قنديل أم هاشم » التى تحولت إلى فيلم سينمائى شهير .

وسكان الحى يطلبون شفاعة السيدة زينب ويطلقون عليها عدة أسماء . . فهى أم هاشم . . وهى بنت بنت النبى ﷺ . . والصلاة فى مسجدتها الذى هو من أحب المساجد إلى قلوب كل المصريين حلم يرنو إليه كل المصريين ، بل إن معظم الذين كانوا يحضرون للقاهرة من الأقاليم كانوا يحرصون على زيارة مسجدين من مساجد آل البيت ، الأول هو مسجد سيدنا الحسين ، والثانى هو مسجد السيدة زينب ، ولسانهم يشدو بأعذب الكلمات . . « وشى لله يا ست يا أم هاشم . . » .

وإذا عدنا إلى قناطر السباع التى عرفت بعد ذلك باسم قنطرة السيدة زينب ، نجد أنها كانت تتكون من قنطرتين إحداهما توصل بين شارع الكومى وشارع السد . وكانت الثانية توصل بين شارع الكومى وشارع مراسينه . وفى عام ١٨٩٨م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج المصرى ؛ تمهيداً لإنشاء أول شبكة من خطوط الترام . . وبردم الخليج اختفت تلك القناطر تحت ميدان السيدة زينب ، الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى ، وجزء آخر من شارع مراسينه .

وقد وسع هذا الميدان فى عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م ، وعند عملية التوسع ، اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب ، الذى كان الوالى العثمانى على باشا الوزير قد جددته عام ٩٥٥هـ - ١٥٤٧م ، ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا عام ١١٧٠هـ - ١٧٦٨م .

ومنذ اكتشاف واجهة الجامع فى القرن ١٩ أصبح يطلق على ميدان قناطر السباع اسم ميدان السيدة زينب ، وكان حى قناطر السباع قد ازدحم بالسكان فى القرنين ١٧ و١٨ م .

تعالوا نقرأ ما كتبه صاحب الخطط التوفيقية على باشا مبارك ، قرب نهاية القرن ١٩ . . يقول : كان بقرب جامع السيدة قره قول جديد يعرف بقره قول السيدة [أى قسم شرطة السيدة بتعبير العصر] وكان يقيم فيه معاون ثمن درب الجمايز وحكيم الثمن - أى مفتش الصحة - وكذلك بيت الصحة وعسكر الطلمبة .

وبهذا الشارع من جهة اليمين هناك حارة واحدة وأربعة دروب هى على هذا الترتيب : حارة السيدة . . وهى كبيرة جداً ، وبداخلها جملة فروع وبها جامع قديم يعرف بجامع تميم الرصافى ، وتجاه هذا الجامع سبيل الست فطوممة عامر ، ودار ورثة محمد بك لاظوغلى ، ودار محمد أغا لاظ وغيرها ثم درب السناجرة ودرب شكينة ثم درب القمح ثم درب المديح .

أما جهة اليسار فنجد فيها درب البهلوان يسلك منه السالك إلى بركة البغالة ، وبداخله دار الأمير سلامة باشا مفتش هندسة ديوان الأشغال العمومية وبها حديقة . وكان به حديقة مجاورة لبركة الحمصانى المعروفة اليوم - على أيام على باشا مبارك - باسم بركة البغالة ، ثم حارة تعرف بحارة البغالة . وبهذا الشارع جامع قديم يعرف بجامع الزعفرانى .

ويوجد قبالة زاوية الحبيبي سبيل بجوار بوابة السيدة ، وبهذا الشارع سبيل السلطان مصطفى الذى أنشأه عام ١١٧٢ هـ ، وجعل فوقه مكتباً لتعليم الأطفال وصار - الآن - من المكاتب الأهلية الشهيرة .

وأول من بنى فى خطة السيدة هم التتر ، والوافدية من أصحاب الأمير جنكلى ابن محمد بن البابا صاحب درب ابن البابا كما يقول المقريزى . وهكذا - يضيف على مبارك - ينتهى وصف هذا الشارع الطولى الذى يبتدىء من قره قول باب الشعرية وينتهى عند بوابة مسجد السيدة زينب .

مياه النيل .. تصل إلى السيدة زينب

كانت مياه النيل تصل إلى حى السيدة زينب من أكثر من مكان . . المكان الأول : هو الخليج المصرى الذى كان ينقل مياه النيل من بدايته عند فم الخليج على سيالة الروضة ، وهو الخليج الذى أقيم فوقه عديد من القناطر أى الجسور أو الكبارى ؛ ليعبر الناس فوقها بين أحياء الضفتين ، وكان السقاةون يملأون قريهم المصنوعة من جلد الماعز من هذا الخليج ويوزعونها إما على عربات الكارو أو فوق ظهور الحمير والبغال والجمال .

المصدر الثانى عندما كانت مياه النيل تدخل إلى بركة الفيل من الموضع الذى كان يعرف بالجسر الأعظم (ميدان السيدة زينب الآن) ، وظلت بركة الفيل موجودة حتى ردمت فى أوائل القرن العشرين .

وفى منطقة بركة الفيل شارع يعرف بالحوض المرصود ، نسبة إلى حوض من الحجر الصوان الأسود كان موضوعاً فى فجوة بمساحة بالقرب من شارع قلعة الكيش ، وكان معداً لسقى الدواب . فلما جاءت الحملة الفرنسية ، خلعت هذا الحوض وأرسلوه إلى فرنسا ، ولكن الإنجليز استولوا عليه قبل أن يصل إلى فرنسا ، وأرسلوه إلى لندن وهو محفوظ الآن بمتحف لندن .

أما بركة الفيل فكانت واقعة بين القاهرة الفاطمية ومصر ، أى مصر عتيقة ، وكانت مساحتها كبيرة جداً ولم يكن حولها أى مباني . . ولما أنشأ جوهر الصقلي القاهرة واختط

خارج باب زويلة حارة السودان وحارة اليانسية لم يعد يفصل هاتين الحارتين عن البركة غير أرض فضاء . . ولكن فى عام ٦٠٠هـ عمرت منطقة البركة وكثرت مبانيها ، وصارت مساكنها من أجمل مساكن مصر المحروسة . وكان السلطان يركب إلى بركة الفيل للتنزه فيها بالليل .

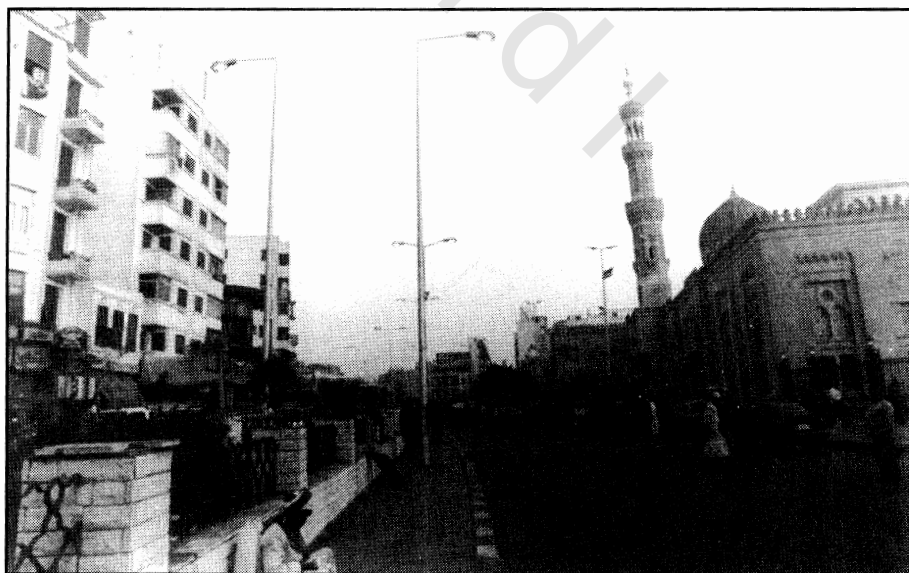
ومن أبرز ما كان فى هذه المنطقة بستان الخشاب ومكانه الآن شارع المبتديان والبرجاس إلى النيل من الشمال ، ومن الغرب نهر النيل ، ومن الجنوب مستشفى قصر العينى وشارع بستان فاضل ، ومن الشرق شارع الخليج . وينقسم البستان إلى قسمين : شرقى يقع بين شارع المنيرة وشارع بور سعيد ؛ وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان يشربون المزر ، وهو نوع من البوظة يسميه أهل السودان المريسة .

هذا عن الحى والميدان والشوارع المحيطة به والداخلة فيه ، ولكن ماذا عن السيدة زينب صاحبة الضريح والمسجد . . بل ماذا عن مسجد السيدة زينب نفسه .



قناطر السباع في ميدان السباع سابقاً الآن ميدان السيدة زينب بناها للمرة الأولى السلطان الظاهر بيبرس . .

والصورة كما تبدو هذه القناطر عام ١٧٩٨ م أيام الحملة الفرنسية على مصر .



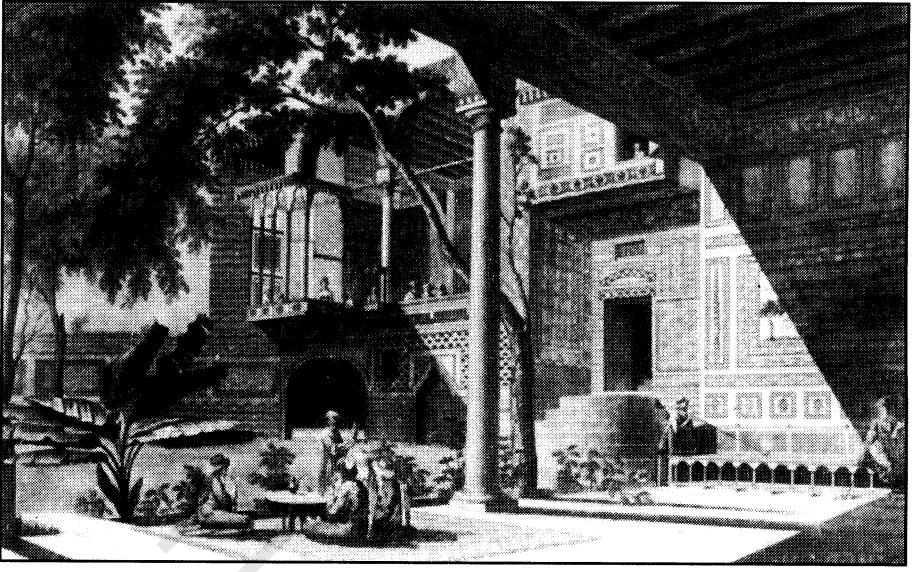
ميدان السيدة زينب الآن والمسجد أبرز ما فيه .



الجنرال جاسبار مونج العالم الفرنسي الذي أطلق اسمه على حارة بجوار المدرسة السنية في حي السيدة زينب .



الجنرال بوناپرت داخل المعهد العلمي الفرنسي في حارة مونج بالسيدة زينب يوم ٢١ ديسمبر ١٧٩٨ م.



قصر قاسم بك في حي السيدة زينب بريشة رسامى الحملة الفرنسية .



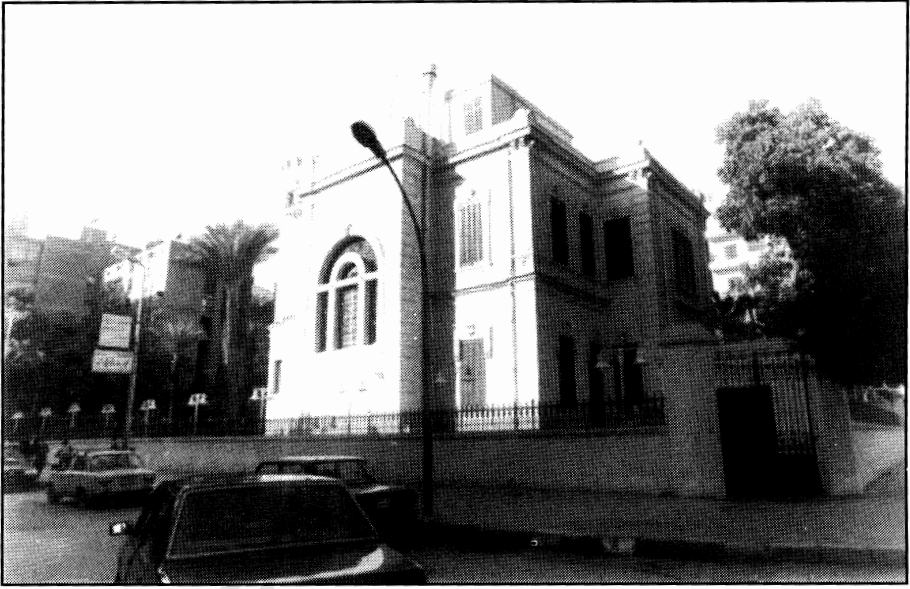
مبنى مصلحة الخزانة . . وكان أيضاً مقراً لمصلحة الإحصاء القديمة بشارع منصور بالقرب من السيدة زينب .



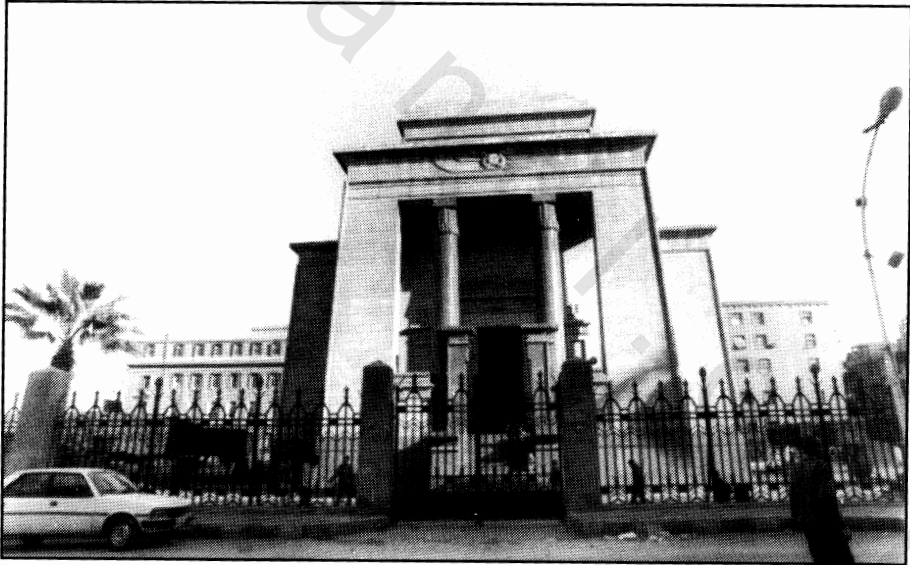
تمثال لاطوغلى فى الميدان الشهير الذى يحمل اسمه فى بداية شارع مجلس الشعب حيث الوزارات
الرئيسية . .
وهو من مناطق حى السيدة زينب .



مبنى دار الهلال كان أكبر مبنى لدار صحفية فى مصر أقيم فى حى السيدة زينب عند نهاية شارع
المبتديان .



من أهم مباني حي السيدة زينب بيت الأمة الذى شهد أحداث ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول .



ضريح سعد زغلول بشارع منصور بالقرب من السيدة زينب وهل جاء هذا الطراز الفرعونى صدفة .

حكاية أم هاشم

●● السيدة زينب هي بنت بنت النبي ﷺ ، كما يحلو للمصريين أن يطلقوا عليها . أبوها هو الإمام علي بن أبي طالب . أمها هي السيدة فاطمة البتول ، بنت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ أى إن جدها لأمها هو الرسول الكريم ﷺ ، وجدتها لأمها هي أولى أمهات المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد أولى زوجات الرسول الكريم ﷺ وشقيقاها هما الحسن والحسين .

ولدت السيدة زينب في السنة السادسة للهجرة في بيت الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، والرسول الكريم ﷺ هو الذى أطلق عليها اسم زينب إحياء لذكرى ابنته التى توفيت في السنة الثانية للهجرة بعد أن طعنها أحد المشركين في أعقاب غزوة بدر وكانت حاملاً . وتوفي الرسول ﷺ عنها وهي في الخامسة من عمرها . وماتت أمها السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ بستة أشهر . . . وهكذا عاشت زينب طفولة حزينة بفقد جدها الرسول الكريم ﷺ وفقد أمها السيدة فاطمة .

وزوجها أبوها الإمام علي بن أبي طالب من ابن عمها عبد الله بن جعفر ، وكان لها وهي في المدينة مجلس علمى حافل تقصده النساء وكانت بحق عقيلة بنى هاشم . وأنجبت السيدة زينب ٣ بنين : جعفر . . وعلى . . وعون ، وبنيتين هما : أم كلثوم وأم عبد الله .

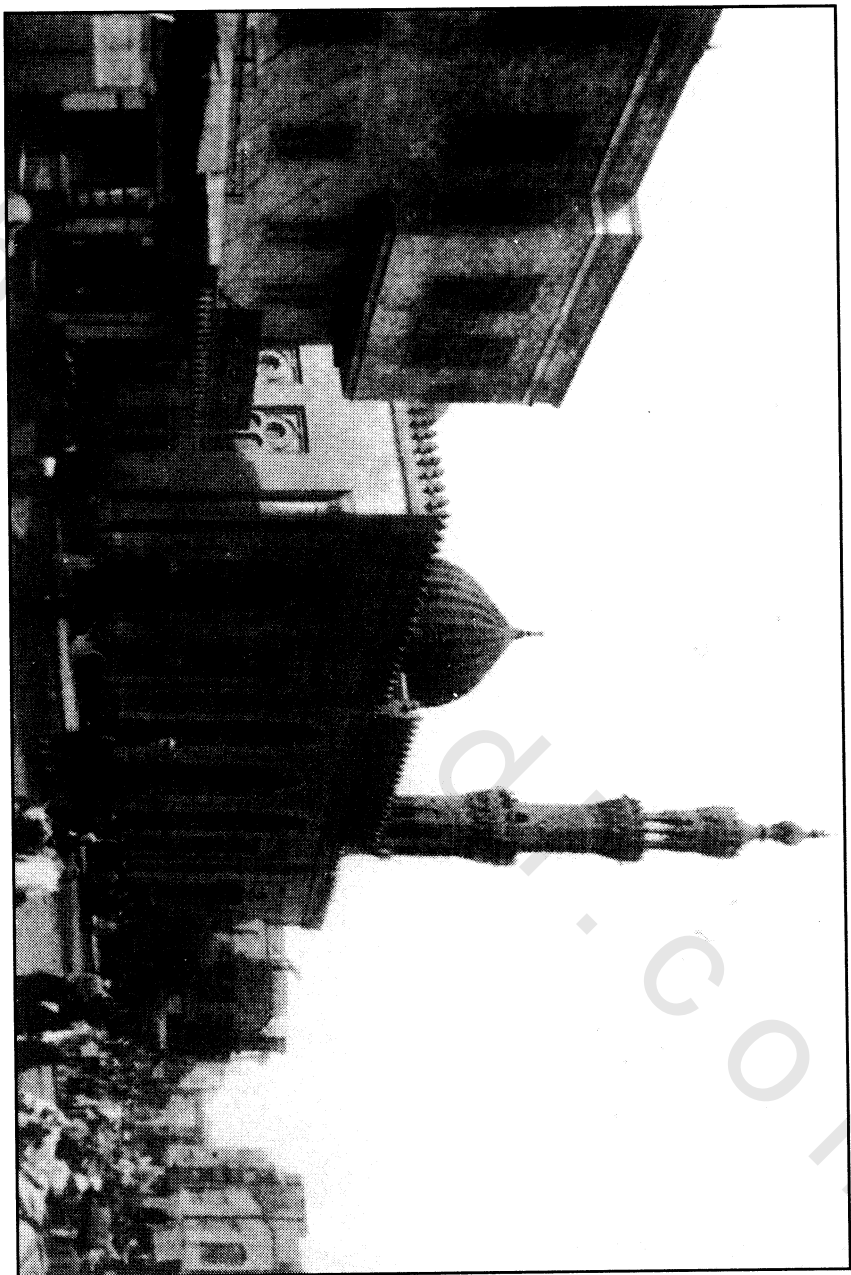
وعاشت السيدة زينب عصر الصراع السياسى بين والدها الإمام علي ومعاوية ابن أبى سفيان ، وتابعت معاركه الحربية من الجمل إلى صفين ومع الخوارج في النهروان ،

ولقى والدها مصرعه عام ٤٠ هـ ثم مات أخوها الحسن عام ٤٩ هـ . ورحلت مع أخيها الحسين إلى العراق واستشهد في معركة كربلاء وساقوها مع الأسرى ، وعبر موكب الأسرى ساحة المعركة ، فرأت أشلاء الشهداء مبعثرة فصرخت «يا محمداه صلي عليك ملائكة السماء . . هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء . يا محمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة . . » .

ومضى موكب الأسرى والسبايا إلى دار إمارة الكوفة ، ووقف الأمير عبد الله ابن زياد يعث برأس الشهيد الحسين بقضيب من حديد ، وعندما دخلت على هذا الأمير وجلست دون أن يأذن لها ، سأل من هذه وهى لا تحيب ، ولكن إحدى الإماء أجابت : هذه زينب بنت فاطمة . ودار حوار بليغ بين السيدة زينب وابن زياد تصدت فيه لهجومه على رجال الحسين . . وعندما لمح ابن زياد صبياً هو على بن الحسين أمر بقتله ، فأخذته عمته السيدة زينب بين ذراعيها ، وهى تقول : يا ابن زياد حسبك منا . أما رويت من دمائنا ، وهل أبقيت منا أحداً . ثم انحنى على الصبى واحتضنته لتمنع قتله . ولما رأى ابن زياد ذلك قال لكأنها تود لو أنى أقتلها معه . . وأمر بإرسال الغلام على زين العابدين بن الحسين مع الأسرى إلى دمشق ، حيث مقر الحكم الأموى بعد أن وضعوا رقبته ويديه في الحديد . ووصلوا دمشق وأدخلوا على يزيد بن معاوية فلما رأى رأس الحسين بن على ، لعن أمير الكوفة بن مرجانة عبد الله ابن زياد . . وأمر بدخول الأسرى والسبايا ودار حوار طويل بين يزيد بن معاوية والسيدة زينب . ثم أمر بعودتها إلى المدينة المنورة مع أهلها .

وأرادت السيدة زينب أن تحيا بجوار جدّها رسول الله ، ولكن حكام بنى أمية وجدوا في وجودها في المدينة ما يحرك الناس ضدهم . وطلب منها والى المدينة المنورة أن تغادرها وتختار أى منطقة أخرى لتقيم فيها ، ففضلت أن ترحل إلى مصر ووصلتها في شعبان عام ٦١ هـ ، وخرج والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى يستقبلها على رأس جموع غفيرة من المصريين ، ومضى بها مسلمة إلى داره حيث أقامت بها حوالى عام لم تبرح فيها الدار حتى توفيت عام ٦٢ هـ .

هذه حكاية السيدة زينب . . ولكن ماذا عن حكاية الجامع ؟



مسجد السيدة زينب في بداية القرن العشرين وبجواره الأبراج الحائنة البيرية .

حكاية جامع السيدة زينب :

عند توسيع ميدان قناطر السباع بعد ردم الخليج المصرى عام ١٨٩٨م ، اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذى كان الولى العثمانى على باشا الوزير قد أقامه عام ١٥٤٧م . . ثم جدده الأمير عبد الرحمن كتحدا . وفى عام ١٧٦٨م تغير اسم الميدان من ميدان قناطر السباع إلى ميدان السيدة زينب ، بل أصبح اسم الحى كله هو حى السيدة زينب .

وفى عام ١٩٤٠م أقامت وزارة الأوقاف المسجد الحالى ، وكان يتكون وقتها - كما تقول الدكتورة سعاد ماهر فى سفرها الكبير «مساجد مصر» - من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة . . ويقابل القبلة قبة ضريح السيدة زينب . . ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان ، بهما مدخلان يفصل بينهما مستطيل تعلوه شخشيخة . وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العترىس ، ثم أضافت الوزارة مساحة أخرى للمسجد الأصيل تصل إلى ٥٤٤ متراً مربعاً . ثم أضافت الوزارة مساحة مماثلة تماماً عام ١٩٦٩م للمسجد الأصيل وبمساحته نفسها ؛ بحيث أصبحت الإضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصيل وهذه التوسعة . ومع الإبقاء على المحراب القديم تم وضع محراب جديد . ويقابل ضريح السيدة فى التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن . وفى الجهة الغربية مدخلان أحدهما يتوسط التجديد الأول والثانى فى التجديد التالى ، وقد قام المهندس حسن حلمى بإعادة إنشاء المسجد عام ١٩٤٠م . والطريف أن التوسعة والإضافة التى تمت عام ١٩٦٩م تولاهما المهندس محمد حسن حلمى ابن المهندس السابق !

وقد وضعت مقصورة من النحاس الأصفر وستر من حرير مزركش فوق ضريح السيدة زينب ، الذى يعلوه قبة شاذخة . . وعندما أهدى زعيم طائفة البهرة الهندية مقصورة مذهبة وضعت فوق مشهد رأس الإمام الحسين ، تم نقل المقصورة القديمة لمشهد الحسين إلى المسجد الزينبى .

وبجوار ضريح السيدة زينب ، وفي الركن الشمالى الغربى للجامع الزينبى ، يوجد ضريحان متجاوران للشيخ العتريس ، والشيخ عيدروس ، والضريحان يعلوان مقبرتين موجودتين فى ساحة واحدة مفروشة بالرخام ، ومحاطة بسيياج من حديد متصل بسيياج الرحبة التى عليها قباب الأضرحة . . وعليها سقف واحد من خشب . . وعلى كل مقبرة مقصورة من حديد وقبة من خشب .

وقد جدد هذا الضريح سعيد باشا وإلى مصر ، وتولى عملية التجديد أدهم باشا عندما تمت عمارة المسجد . . وأعيد تجديد الضريحين بعد تجديد سعيد باشا ، عندما قامت وزارة الأوقاف بتجديد المسجد كله عام ١٩٤٠م ، وتحيط بالمقبرتين مقصورتان من نحاس مخرم جميل الصنع .

ولكن من هو الشيخ العتريس ؟

هو الشيخ محمد العتريس ابن أبى المجد بن قریش بن محمد ، وينتهى نسبه إلى زين العابدين بن الحسين بن على . . أى هو شقيق إبراهيم الدسوقى صاحب المسجد الكبير فى دسوق ، وهو ثالث إخوة الشيخ إبراهيم الدسوقى . وقد ولد العتريس فى نهاية الدولة الأيوبية وحارب مع أخيه إبراهيم الدسوقى الصليبيين والتتار مع الملك الأيوبي السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، كما حارب مع سلاطين المماليك وبالذات قطز وبيبرس .

وكان العتريس كثير التردد على مسجد السيدة زينب ، وقد أمر بأن يدفن بجوار مسجدها ؛ إذ إن نسبه ينتهى إلى ابن أخيها على زين العابدين .

أما الشيخ عيدروس فهو وجيه الدين أبو المراحم عبد الله الحسينى العلوى العيدروس ، الذى جاء إلى مصر عام ١١٣٥هـ ، وينتهى نسبه إلى الإمام جعفر الصادق ثم إلى الحسين بن على وقد ولد باليمن . وجاء إلى مصر وهو فى السادسة والعشرين ، ثم سافر إلى الحجاز عام ١١٦٩هـ ، وسكن فى الطائف وعاد إلى مصر عام ١١٧٤هـ . وحج ١٧ مرة وألف أكثر من ٧٠ مؤلفاً شعراً ونثراً . وتوفى عام ١١٩٢هـ ودفن بمقام الشيخ العتريس بجوار مسجد السيدة زينب . .

ولا ننسى أن نقول إن وزارة الأوقاف عادت في أواخر القرن العشرين ، وأضافت
توسعة ضخمة على المسجد الزينبي من الناحية الغربية والناحية الجنوبية ، وأخلت كل
الإشغالات التي كانت تحيط بالضلع الغربى للمسجد .

ومنذ جدد المسجد الزينبي كانت تعمل به «حضرة» للسيدة كل ليلة أحد . . ومقرأة
كل ليلة أربعاء . . ومولد كل عام يستمر أسبوعين ، تجتمع فيه الناس وتجمع النذور
والهدايا ويتحول مولد السيدة زينب إلى موسم تجارى وفرصة هو كبيرة للشباب ، أما
العواجيز فمنهم من يدخل حلقات الذكر التي تحييها مختلف الطرق الصوفية التي تأتى
من كل مدن وقرى مصر . ويغلق تماماً ميدان السيدة أمام كل وسائل المواصلات
ويصبح سوقاً رائجة لبيع كل شئ من حلوى المولد إلى لعب الأطفال والطراوير
وألعاب البهلوان . ويصل زوار المسجد الزينبي خلال فترة المولد إلى ٣ ملايين نسمة ،
يقضون الليل كله فى التجول بالسراقات التي تنظمها الطرق الصوفية ، ولا ينافس
مولد السيدة زينب لإمولد سيدنا الإمام الحسين بالقاهرة ، ومولد السيد البدوى فى
طنطا ومولد سيدى إبراهيم الدسوقي فى دسوق وسيدى عبد الرحيم القنائى فى قنا . .

الأم والابن فى حى واحد :

الأزهر والحسين اسمان كبيران حى واحد . . الأول يرتبط بالقاهرة المحروسة نفسها .
فالجامع الأزهر هو أول ما أنشأه جوهر الصقلى عندما تم له فتح مصر ، حتى قبل أن
يبدأ فى إنشاء القصر الشرقى الكبير ، الذى سيصبح مقراً للحكم وسكناً للخليفة
الفاطمى . . وطبقاً للفلسفة الإسلامية فى تخطيط المدن ، كان المسجد الجامع فى
العاصمة هو نقطة الدائرة التى تلتف حولها وتحيط بها كل المساكن والأحياء ، ومن هنا
كان «الأزهر» المسجد والمدرسة هو مركز المدينة ، وكان شارع القصبة - المعز لدين الله
الآن - هو قلب القاهرة . . فيه كل الأسواق ومراكز الأعمال ، ومن هنا نجد أن «الأزهر»
قامت حوله مراكز العمل والتجارة والحياة فى العاصمة .

وظل الأمر كذلك طوال عهود الدول التى حكمت مصر منذ الدولة الفاطمية إلى

الأيوبيية ، رغم انتقال مركز الحكم إلى القلعة . . وأيضاً في العصر المملوكى بنوعيه المماليك البرجية ثم البحرية . واستمر ذلك حتى خلال الحكم العثمانى لمصر ؛ فقد ظل الأزهر مركز الثقل السياسى والثقافى ؛ خصوصاً عندما كان الأزهر - المكان والمعنى - هو الملجأ والملاذ للشعب عندما كان الحاكم : سلطاناً أو والياً أو باشا يشتد في ظلمه ، كان الشعب يلجأ إلى الأزهر بعلمائه ومكانته ؛ بل تحول ليصبح مركزاً للثورة ضد الظلم على طول مراحل تاريخه . .

ولأن الأزهر المدرسة والجامعة كان ملتقى الدارسين على المذاهب الأربعة ، كان مكاناً لسكنى هؤلاء الدارسين ، ومن هنا عرفنا معنى كلمة المجاورين . وكان هؤلاء يأتون للدراسة به من أركان العالم الإسلامى حتى الآن .

وعلى مرمى البصر من الأزهر، الجامع والجامعة ، يقف شاخخاً المسجد الحسينى ؛ أى إن العلاقة مستمرة بين الأزهر والسيدة فاطمة الزهراء . . وبين ابنها الإمام الحسين . وهكذا أصبح - الأزهر والحسين - حياً واحداً للدراسة والتجارة ، بل ظل المركز التجارى الأول في العاصمة المصرية ، ولهذا أقيمت فيه وحوله كل الوكالات التجارية «الوكايل» وكل الخانات والأسبلة . . بل وكان كل خليفة أو حاكم يحرص على أن يقيم فيه وحوله مسجده الكبير . ولم يشذ عن ذلك إلا السلطان بيبرس ، والسلطان حسن . . ترى ما حدود هذا الحى الآن وما أهم شوارعه ، على الأقل منذ القرن ١٩م عندما أصبح مركزاً للثورة الشعبية ضد قوات الحملة الفرنسية ، واضطرت هذه القوات أن ترتكب خطأها الأكبر ، عندما اقتحمت الأزهر بخيولها وجنودها لردع الثوار ومطاردتهم عندما لجأوا إليه يطلبون الاحتباء به .

بحكم ضيق المكان ، وتركز الأعمال تجارة وصناعة في هذا الحيز الضيق ، لا نجد تغيراً كبيراً يذكر في طبيعة المكان . وهذا انعكس على سعر الأرض في هذا الحى . بل ليس سراً أن سعر المتر في الحسين والأزهر أكبر من سعر المتر في حى الزمالك أو في المهندسين الآن!!

وحول المسجدين الجامعين «الأزهر والحسين» ، نجد من الغرب : الحمزاوى حيث تركزت تجارة الأقمشة والملابس . ونجد التريبعة . . ومجموعة السلطان الغورى وكل حى الغورية . . وبين الغورية ومجموعة الغورى والجامع الأزهر ، نجد وكالة وجامع محمد بك أبو الذهب ، وشارع الصناديق وجامع السلطان الأشرف . وجنوب الغورية ، نجد سوق المغاربة والعقادين وجامع الفكهانى ثم السكرية .

وطبقاً لخريطة مساحية مطبوعة فى بداية القرن العشرين ، نجد من الشرق : كفر الطماعين والدراسة والغريب وباب الغريب ، وجنوبه باب درب المحروق ودرب المحروق . ونجد شرق كل هذا تل قطع المرأة ؛ أى تلال الدراسة الآن التى تفصل بين العمران وبين مناطق المقابر ؛ حيث مقابر قايتباى ومقابر الخلفاء وكل القرافة الشرقية وقرافة المجاورين للمسلمين ، وشارع قرافة باب الوزير وجبانة باب الوزير للمسلمين . وشرق كل هذا كله حيث يمر خط السكة الحديد - خط المحاجر - حيث المدفن ، الذى أقامه الخديو توفيق لنفسه ولفرع أسرته ، وفيه دفن هو وابنه الخديو عباس حلمى وكذلك الأمير محمد على توفيق ، الذى شغل موقع ولى العهد مرتين ، وزوجات وبنات الخديو توفيق . وفى الحديقة الخارجية تم دفن العلامة المصرى الدكتور على مصطفى مشرفة . . وهذا المدفن الآن بقبته الكبيرة يقع على طريق الأوتوستراد ، وشرق هذا كله نجد جبل المقطم . .

وللحقيقة فإذا كان جبل المقطم هو الذى منع امتداد القاهرة شرقاً . . فإن تلال الدراسة قامت بالدور نفسه إلى حد كبير . . وإذا كان جبل المقطم طبيعياً ، فإن تلال الدراسة ما هى إلا عمل من صنع الإنسان . . وسبب ذلك أنه عندما كانت الأمطار الرعدية تسقط على جبال البحر الأحمر ، كانت هذه المياه تندفع عبر الوديان لتصل إلى القاهرة على شكل سيول جارفة تحتاج كل ما أمامها . وهنا طلب الحاكم بناء سد صناعى فى هذا الموقع ليحمى القاهرة من هذه السيول . . وقد كان . .

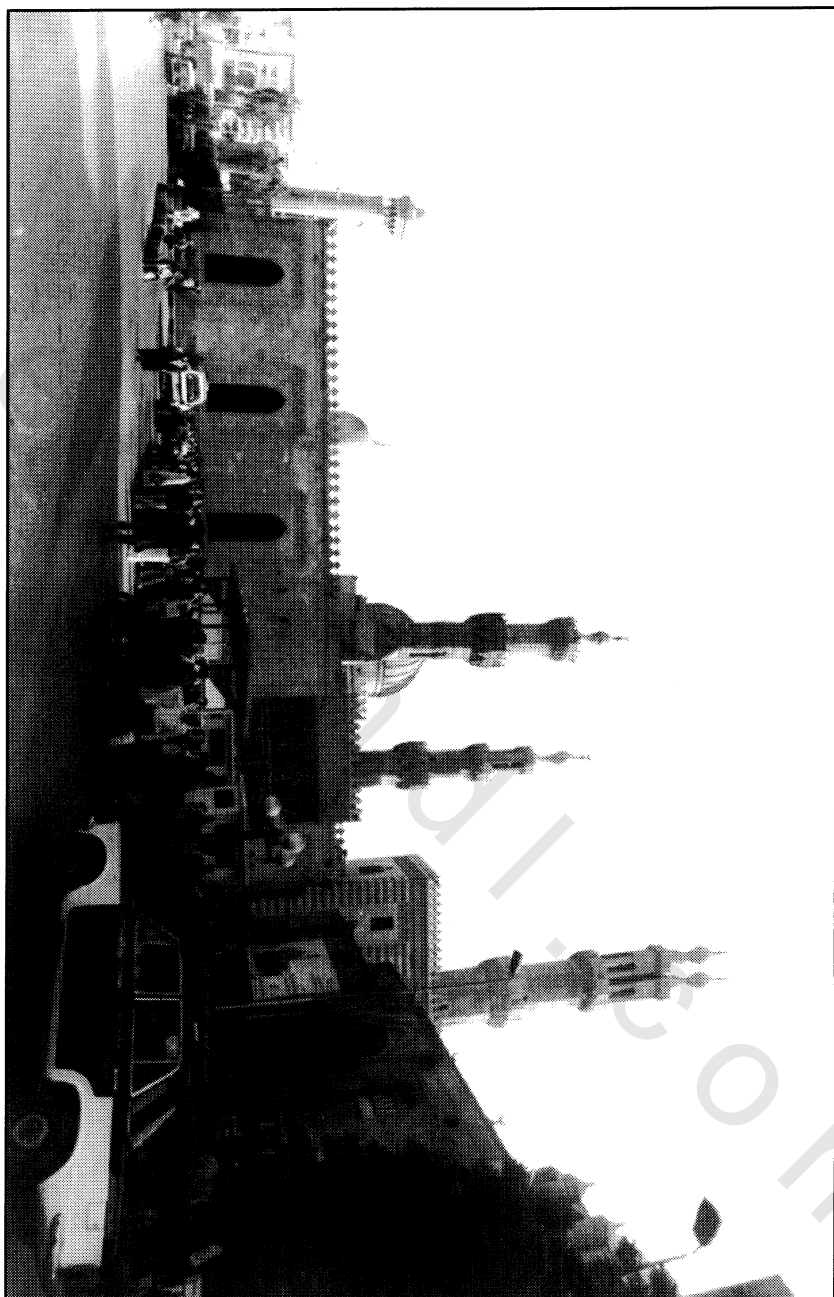
وعندما زالت دولة الخلافة الفاطمية ، نبشت قبور الخلفاء ، وألقيت كل مخلفاتها

فوق هذه التلال الصناعية . . وعندما أنشأ الأمير جهاركس الخليلي أحد أمراء السلطان برقوق ، وكان هذا الأمير هو أمير الخيل . . كان مكان خان الخليلي هو ضريح القصور الفاطمية ، ولما كان جهاركس الخليلي متعصباً ضد الفاطميين ، أخرج عظام الخلفاء وأسره من مقابرهم وألقاها فوق تلال الدراسة ، وكانت تسمى وقتها « كيما البرقية » ليفسح مكاناً ، يبنى عليه الخان الذى حمل اسمه حتى الآن وهو خان الخليلي . وكان هذا الخان يعرض المعادن المكففة بالفضة والذهب ، والأخشاب المطعمة بالعاج والصدف والأقمشة الموشاة بالذهب والفضة والزجاج المموه بالمينا ، ومنتجات الجلود والخيام والسجاد . وفى عام ٩١٧هـ هدم السلطان الغورى هذا الخان وجده .

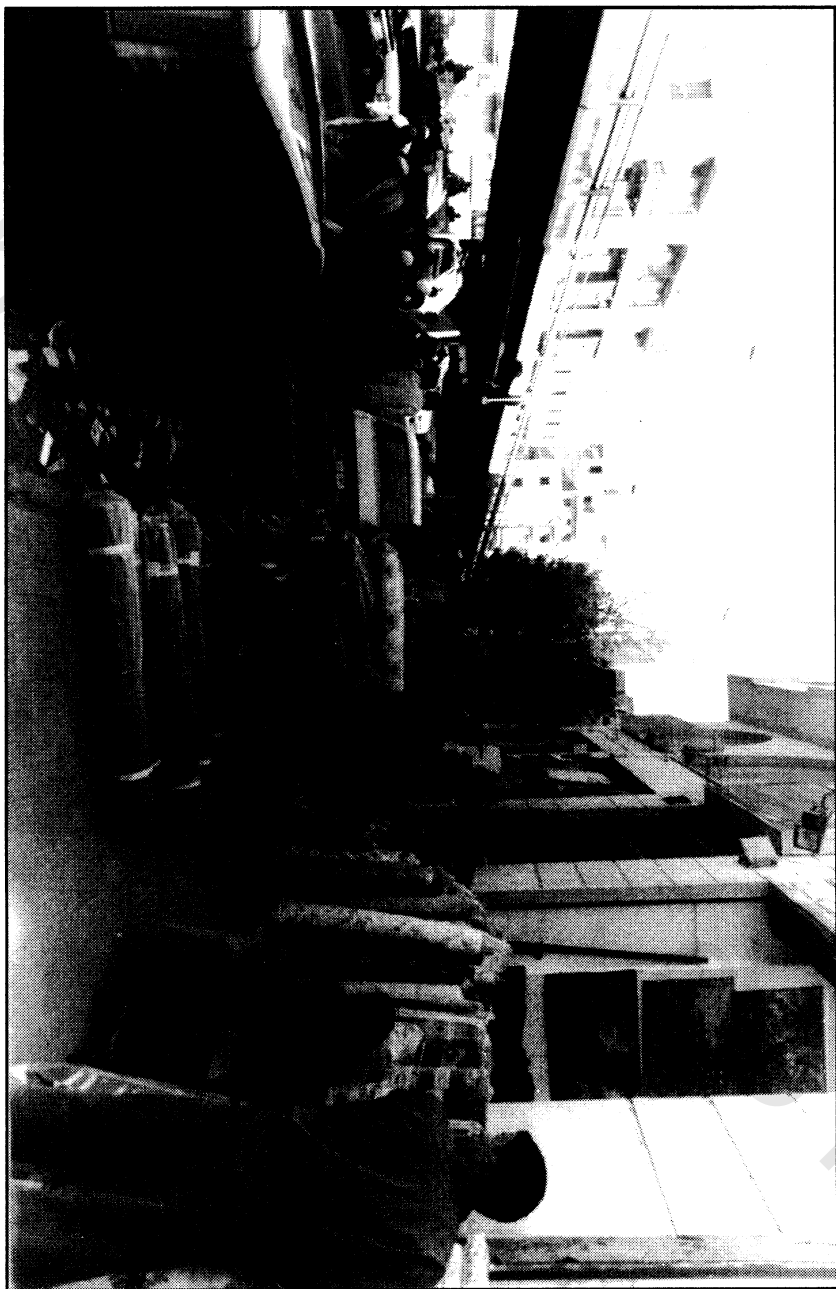
أما البرقية فهم فصيلة من الجنود الذين ساهموا فى فتح مصر على يد جوهر الصقلي ، وهم من برقة « فى ليبيا الآن » .

ولم يكن هذا الخان إلا واحداً من حوالى ٢٠٠ خان ، ووكالة للتجارة ، شهادتها القاهرة ، كان هو أبرزها مع خان الحمزاوى وخان جعفر ووكالة قوصون ووكالة الغورى .

وعندما بنى جوهر سور القاهرة جعل له ٨ أبواب ، كان باب البرقية من أهم هذه الأبواب ، وكان يقع تحت تلال البرقية المقابلة لشارع الدراسة . وفى عام ١٩٥٧م عندما بدأ رفع التلال الموجودة بين القاهرة وجبل المقطم ، ظهر شرقى مباني الجامعة الأزهرية باب البرقية الذى بناه بدر الجمالى ، وكان اسمه باب التوفيق ، كما تدل الكتابة عليه وعلى تاريخ البناء عام ٤٨٠هـ . .



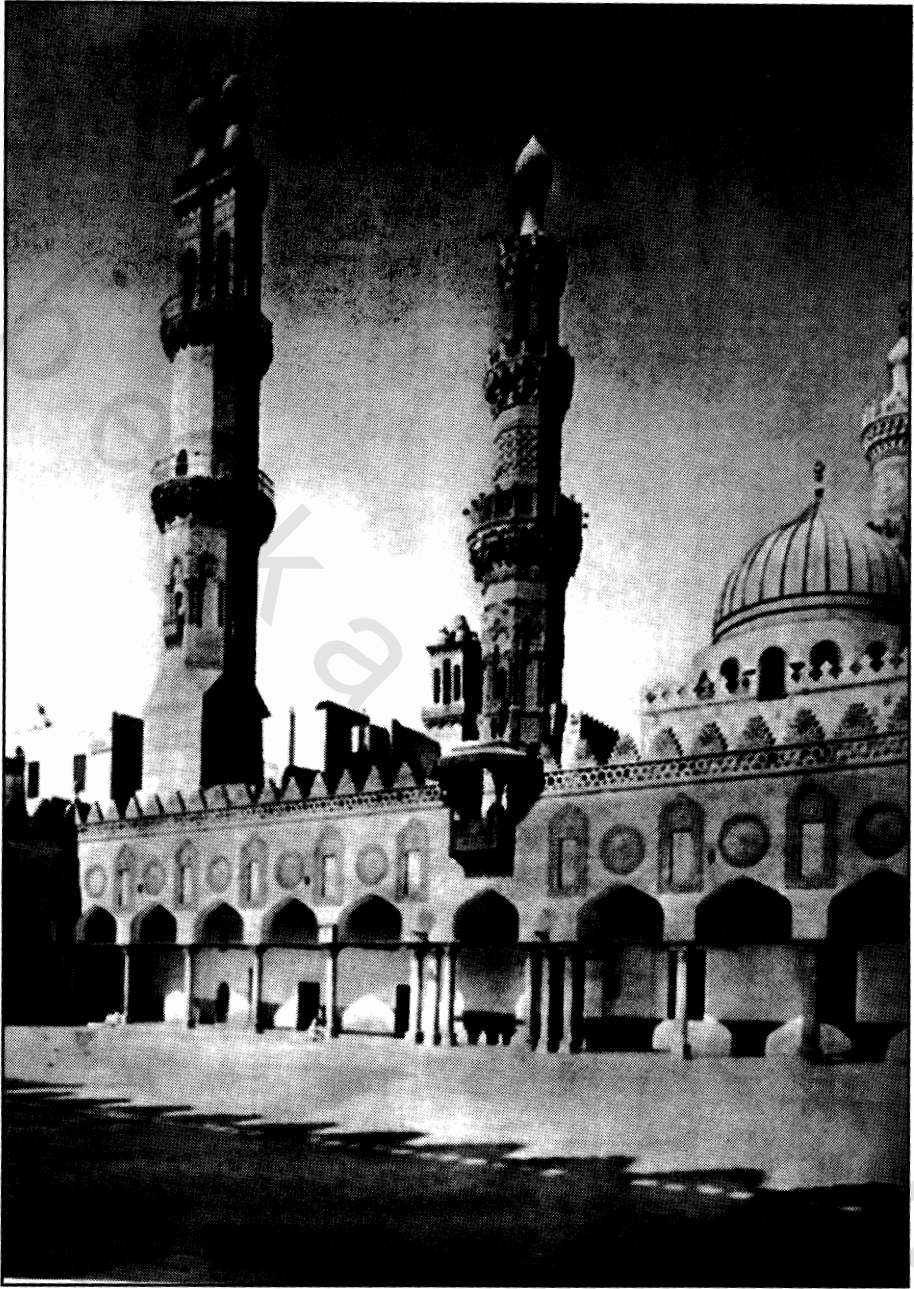
ميدان الجامع الأزهر ومنارة الغورى ثنائية الرأس ومأذنة قايتباى . . وفى أقصى اليمين جزء من جامع
أبو الذهب وإلى اليسار برج ساعة مشيخة الأزهر القديمة .



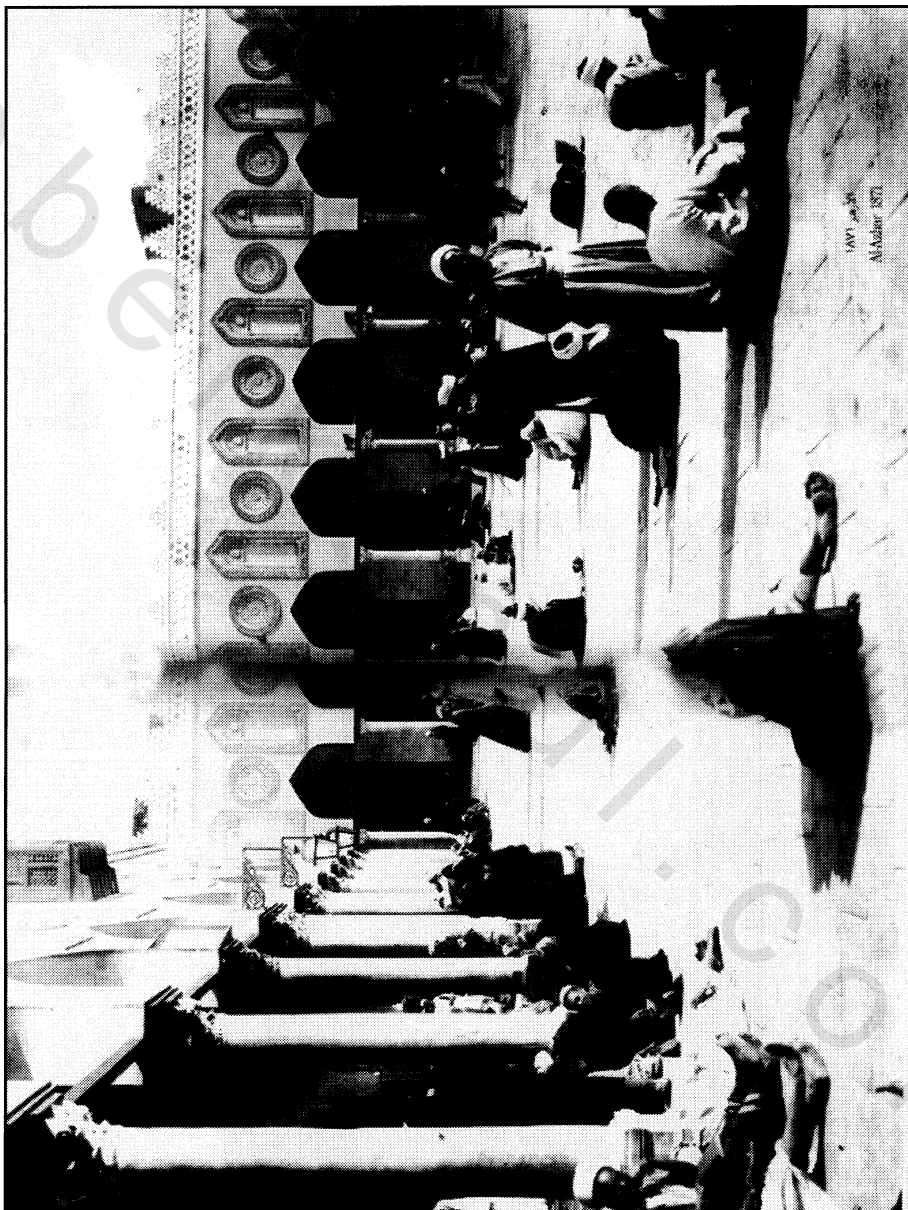
شارع الأزهر مركز تجارة الأقمشة والمانيفاتورة في مصر كلها .. وليس في القاهرة فقط .



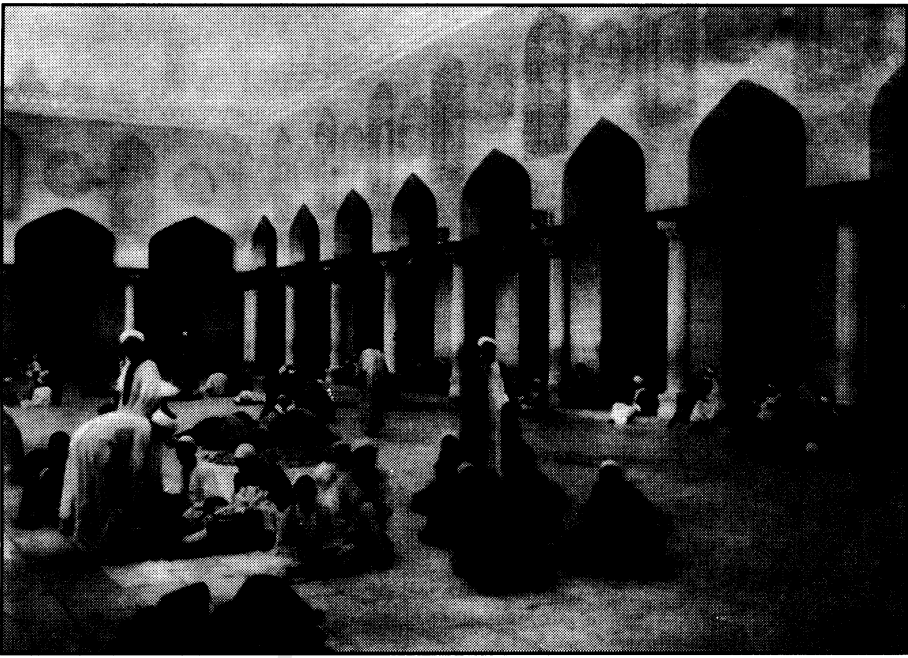
منارة مسجد سيدنا الحسين أبرز مباني الحي المتيق .



الجامع الأزهر ومئذنتا قايتباي والغوري .



الجامع الأزهر . . للعبادة والدراسة صورة نادرة أيام حكم الخديو إسماعيل .



صحن الجامع الأزهر عام ١٧٩٨ خلال حملة بونايرت على مصر .



المدخل الرئيسي للجامع الأزهر كما كان يبدو خلال حملة بونايرت ومن هذا الباب أقتحمت قوات الاحتلال الجامع الأزهر في محاولة لإجهاض ثورة القاهرة الأولى . ٣٠٠

الصورة بعد نصف قرن :

وبعد حوالى نصف قرن من خريطة بداية القرن العشرين ، نجد شارع جوهر القائد الذى ينتهى إلى الحسين ، وخان الخليلى قد أصبح المركز التجارى ، والذى يخلط العامة بينه وبين شارع الموسيقى أو كما كان يقال عليه : شارع السكة الجديدة . . ونجد شارع الشيخ محمد عبده يتوسط بين حى الدراسة وحى الغورية ، أى جنوب الجامع الأزهر . وجنوب شارع محمد عبده نجد شارع جمال الدين الأفغانى ؛ أى هنا يلتقى الثائران الأستاذ الأفغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده ، والشارعان يتصلان من الغرب بشارع المعز لدين الله الفاطمى . . وتتقلص تلؤل أو تلال قطع المرأة ، ولكن يظل باب درب المحروق الذى يخرج من درب المحروق وامتداده شارع النبوية ؛ ليصل إلى شارع باب الوزير كما تتقلص أكثر تلال الدراسة .

وفى خريطة طبعت عام ١٩٨٦ م ، نجد تطوراً تخطيطياً هائلاً ، خصوصاً بعد أن تم فتح طريق صلاح سالم ليفتح الطريق أمام تعمير شرق القاهرة . ويتم شق طريق عبر تلال الدراسة ليمتد طريق جوهر القائد ، ويعبر هذه التلال إلى شارع صلاح سالم ثم إلى شارع باب الوزير ويصبح شارع المنصورية - وهو الاسم الأول الذى أطلقه جوهر القائد على عاصمته الجديدة ، قبل أن يغيره المعز لدين الله نفسه عندما وصل إلى القاهرة . يصبح شارع المنصورية من أهم شوارع الدراسة ، ويعتبر فتح طريق صلاح سالم خطوة تعميرية هائلة ، شجع بعد ذلك على فتح طريق النصر . وواكب ذلك امتداد شارع رمسيس عبر مدينة نصر وامتداد شارع السكة البيضاء ؛ أى إن كل هذا فتح الطريق لكى تمتد القاهرة شرقاً ، بل لتقفز إلى أعلى جبل المقطم نفسه .

وتزداد أهمية شارع الأزهر بعد فتح هذا المحور المرورى ، فيقام كوبرى معدنى علوى يربط بين ميدان الأوبرا ويعبر ميدان العتبة إلى شارع الأزهر ، ويهبط عند شارع المعز . وعندما تزداد حركة التجارة والممرور ، يصبح شارع الأزهر محوراً مرورياً مهماً يربط وسط القاهرة بشرقها ، ويعتبر محوراً صاعداً يؤدى شمالاً إلى مدينة نصر ، ثم إلى مصر الجديدة

وجنوبًا إلى عين الصيرة ومصر القديمة . عندما يحدث ذلك كان لابد من تسهيل استخدام هذا المحور الممرى الحيوى ، فكان قرار شق وحفر نفقين : الأول يصعد من الأوبرا إلى شارع صلاح سالم ، والثانى يهبط من شارع صلاح سالم إلى ميدان الأوبرا وتم فتح النفقين لممر السيارات فى شهر نوفمبر ٢٠٠١ م . أما شارع الخليج المصرى فيصبح اسمه شارع بورسعيد ، تكريما لتلك المدينة الباسلة وصمودها أيام العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ م .

تعالوا نتحدث عن أبرز المنشآت فى هذا الحى المشترك . . الأزهر والحسين .

الأزهر : المبنى والمعنى والثورة :

كما نعلم . . فإن كل دولة أقامت لها نظاماً جديداً في مصر ، كان لها مسجدها الجامع . هكذا كان الوضع في أول دولة إسلامية في مصر ، عندما أنشأ عمرو ابن العاص مسجده في الفسطاط ، ثم عندما أنشأ أحمد بن طولون مسجده في القطائع ، إلى أن جاء جوهر القائد ، فأنشأ الأزهر ليكون جامعاً ومدرسة للمذهب الشيعي الفاطمي . وأتم بناء هذا الجامع يوم ١٧ شعبان عام ٣٥٦هـ - ٦ يوليو ٩٦٩م ، وعندما قدم المعز لدين الله إلى القاهرة نزل في القصر الذي بناه جوهر يوم ٧ رمضان ٣٦٢هـ - ٩٧٣م ، فصارت مصر دار خلافة ، بعد أن كانت دار إمارة طوال العهود الإسلامية منذ فتحها عمرو بن العاص ، ثم في الدولة الأموية فاللدولة العباسية ، وإن شهدت مصر حركات استقلالية ، سواء في الدولة الأموية أو العباسية .

وقد بدأ جوهر بناء الجامع الأزهر يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ - ٩٧٠م ، وانتهى العمل وأقيمت فيه أول جمعة يوم ٧ رمضان ٣٦١هـ - ٩٧٢م وعرف بجامع القاهرة ، وكانت له ثلاثة أبواب في جدرانه القبلي والبحري والغربي .

وشهد الجامع عمليات ترميم وإصلاح وإضافة عديدة ، بدأها العزيز بالله ابن المعز . ثم جده الحاكم بأمر الله عام ٤٠٠هـ - ١٠٠٩م ، وبقي من إضافة الحاكم باب بمصراعين من خشب به حشوات منقوشة . كما عني بإصلاحه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وفي عام ١١٢٥م أمر الخليفة الأمر بأحكام الله بعمل محراب من الخشب لهذا الجامع وعظمه من خشب قرو تركي .

وبقي الجامع على حاله إلى أن أضاف الخليفة الحافظ لدين الله بين عامي ١١٢٩ و ١١٤٩م إضافة رواق ، يحيط بالصحن من جوانبه الأربعة وقبة ، وتعتبر هذه القبة أقدم واحدة نقشت من الداخل . وبقي من العمارة الفاطمية بالمسجد عدة أجزاء أبرزها المحراب الكبير بنقوشه وكتابات ، وهو المحراب القديم للمسجد ، وظل محتجباً لمدة ٧ قرون حتى تم كشفه يوم ١٠ أكتوبر ١٩٣٣م ، واكتشفه العلامة حسن عبد الوهاب

كما ذكر في كتابه العظيم تاريخ المساجد الأثرية ، وأزال الكسوة الخشبية التي كانت تكسو طاقيته فظهرت نقوشه وكتاباتة .

وكان أول درس ألقى بالجامع الأزهر في شهر صفر عام ٣٦٥هـ - ٩٧٥م ، عندما جلس القاضي على بن النعمان وأملى مختصر أبيه في فقه الشيعة ، وكان هذا بداية الأزهر كجامعة إسلامية . وفي عام ٩٨٨م طلب الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس من الخليفة العزيز بالله أن يصل رزق جماعة من الفقهاء ، فقرر لهم مرتبات وأعد داراً لسكنائهم بجوار الجامع الأزهر . فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وعقدوا حلقات دروسهم بعد الصلاة وإلى صلاة العصر ، وكان عددهم ٣٥ فقيهاً . كما ألف ابن كلس كتاباً في فقه الإسماعيلية كان يجلس لقراءته بنفسه . ولما بنى العزيز بالله مسجده المعروف بجامع الحاكم عام ٣٨٠هـ - ٩٩٠م ، أذن للفقهاء الموجودين بالجامع الأزهر أن يعقدوا حلقات دروسهم فيه . .

ولكن في عصر الدولة الأيوبية ، أمر صلاح الدين الأيوبي بإبطال الخطبة من الجامع الأزهر عملاً بالمذهب الشافعي ، وهو منع إقامة خطبتين للجمعة في مدينة واحدة اكتفاء بإقامتها بجامع الحاكم . وظلت خطبة الجمعة بالجامع الأزهر معطلة لمدة ١٠٠ عام إلى أن أعادها السلطان الظاهر بيبرس .

ويعتبر العصر المملوكي عصراً ذهبياً للأزهر ؛ فقد تبارى السلاطين المماليك في العناية بالجامع الأزهر ، وكان أول تعمير له في عصر السلطان الظاهر بيبرس ، الذي أعاد الخطبة إليه ، وأقيمت صلاة الجمعة من جديد بالأزهر يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول ٦٦٥هـ - ١٢٦٦م . وذكر المقرئ أن الأمير بيليك الخازندار أقام مقصورة كبيرة بالجامع وعين بعض الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعي ومحدثاً للحديث النبوي . ومن ذلك الوقت بدأ الأزهر يشارك بقية مدارس مصر والقاهرة في أداء رسالته العلمية .

وعلى أثر زلزال عام ١٣٠٢م ، اهتم الأمير سلار بتعمير الجامع ، ثم توالى

عمليات الإصلاح فأصلحه محتسب القاهرة عام ١٣٢٤م ، والأمير الجامدار عام ١٣٥٩م الذى أنشأ سبيلاً وكتاباً عند الباب القبلى للجامع .

ولما تولى الأمير بهادر أصدر الملك الظاهر برقوق مرسوماً بأن من يموت من مجاورى الأزهر دون وريث ، تؤول ثروته إلى مجاورى الجامع ، وفى عام ٨٠٠هـ - ١٣٩٧م هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة ، وبنى مكانها منارة جديدة أطول منها ، وبقيت هذه المنارة إلى أن هدمت فى شوال ٨١٧هـ - ١٤١٤م بسبب خلل حدث بها .

ثم تم بناء منارة حجرية أخرى فوق الباب الغربى للجامع ، بعد أن تم هدم هذا الباب وأعيد بناؤه بالحجر ، وأقيمت المنارة الجديدة فوق عقد الباب ، ولكن هذه المنارة هدمت عام ١٤٢٤م وأعيد بناؤها . . وأكدت الحوادث أن المنارة القديمة للجامع ظلت قائمة فوق الباب الغربى إلى أن جدهه السلطان قايتباى ، وأقام منارة بجواره عام ١٤٦٨م وهى من ثلاث دورات . وفى عام ١٤٧٦م زار قايتباى الجامع وأمر بترميمه . وفى عام ١٤٩٥م أذن قايتباى للخواجه مصطفى بن الخواجه رستم بإجراء إصلاحات عديدة . وفى عام ١٥١٠م ، أمر السلطان الغورى ببناء منارة للجامع ، هى المنارة ذات الرأس المزدوجة .

ومن أبرز المنشآت بالجامع الأزهر : المدرسة الطيرسية على يمين الداخل ، وجعلها الأمير علاء الدين طيرس مسجداً لله تعالى زيادة فى الجامع ، وقرر بها دروساً للفقهاء الشافعية . . والمدرسة الأقبغاوية وهى على يسار الداخل ، وبها الآن مكتبة الأزهر ، وكلاهما من أمراء الناصر محمد بن قلاوون . والمدرسة الجوهريّة فى الطرف الشرقى البحرى عند باب السد للجامع الأزهر ، أنشأها الأمير جوهر القنقبائى ، خازن دار الملك الأشرف برسباى ، ودفن بها عام ١٤٤٠م .

وفى العصر العثمانى أجريت عدة ترميمات للأزهر ، وأول من عمره من الولاية العثمانيين الوالى السيد محمد باشا عام ١٥٩٥م ، والوزير حسن باشا والى مصر عام ١٦٠٥م ، وفى عام ١٧٣٥م أنشأ الأمير عثمان كتخدا زاوية للعميان خارج الأزهر ،

وقد تم هدمها بعد ذلك وعمر رواق الأتراك ورواق الأفغانين وزاد في رواق الشوام . .
وفي عام ١٧٤٩م أهدى الوزير أحمد باشا كور وإلى مصر مزولتين للأزهر، مازالتا به .

أما أكبر عملية ترميم وتعمير حدثت للجامع الأزهر ، فهي تلك التى قام بها الأمير عبد الرحمن كتحدا عام ١١٦٧هـ - ١٧٥٣م ، فقد أضاف للجامع الأزهر مساحة كبيرة عبارة عن الأروقة الموجودة الآن خلف المحراب القديم ، وهى التى جددھا الخديو توفيق عام ١٨٨٨م ، وبقى بها محراب من الرخام الدقيق ، وفوقه قبة وبجواره منبر خشبي وبجواره محراب صغير هو محراب الدردير ، ومحراب آخر حديث أحدثته إدارة حفظ الآثار العربية . وفى النهاية القبلىة لهذا الإيوان يوجد باب يودى إلى قبة أنشأها الأمير عبد الرحمن كتحدا عاشق الآثار الإسلامية المصرية الذى جدد الكثير منها فى كل القاهرة . .
وقد دفن عبد الرحمن كتحدا تحت هذه القبة عام ١١٩٠هـ - ١٧٧٦م ، وأمامها سبيل ، ثم باب الصعايدة الذى أنشأه نفس الأمير كما أنشأ منارة بجواره ، وأنشأ أيضاً باب الشورية فى الطرف الشرقى البحرى وأنشأ بجواره منارة .

كما جدد الأمير عبد الرحمن كتحدا واجهة المدرسة الطيرسية ، وأنشأ الباب الغربى الكبير والرئيسى للأزهر وهو المحلى بكتابات وزخارف دقيقة من الحجر والرخام ، يسترعى النظر فيها براعة الخطاط الذى كتبها بشكل زخرفى بارع ونادر . وبهذا الباب الكبير تم ضم المدرستين الطيرسية والأقبغاوية إلى الأزهر ، كما ذكر الجبرتى . وقد تم هدم الكتاب والمنارة وفكت مبانى هذا الباب ، وأعيد بناؤه عام ١٨٩٦م عندما تمت أعمال توسيع الشارع وتم بناء الرواق العباسى ، وألحقت بالأزهر عدة أروقة للمذاهب المختلفة .

أسرة محمد على .. والأزهر :

ويقول حسن عبد الوهاب فى حديثه عن الأزهر فى كتابه القيم «المساجد الإسلامية»
أن للأسرة المالكة العلوية مآثر جليلة على الأزهر ، فقد وقفت الأميرة زينب هانم ابنة

محمد على باشا أوقافاً كثيرة للإنفاق على الأزهر ، تقدر وقتها بعشرين ألف جنيه . كما وقفت الأميرة جميلة هانم ابنة الخديو إسماعيل أوقافاً عظيمة .

ويذكر لمحمد على باشا الكبير أنه أجرى إصلاحات بالأزهر عام ١٨٠٥ م ؛ أى فى بدايات حكمه وأنشأ به رواق السنارية بالتماس قدمه الشيخ محمد وداعة السنارى المنسوب إلى سنار . وكان موضع رواق الحنفية بيوت مملوكة لأصحابها فاشتراها عباس باشا الأول والى مصر بعد إبراهيم باشا ، وأمر بهدمها ليبنى مكانها رواقاً لأهل بلد الشيخ إبراهيم البيجورى شيخ الأزهر ، ولكن عباس قتل قبل إتمام هذا العمل فأتمه السيد أبو بكر راتب باشا .

أما الوالى سعيد باشا ففى عهده تم ترميم وتجديد المسجد .

وأمر الخديو إسماعيل بتجديد باب الصعايدة الذى أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا ، بينما اهتم ابنه الخديو توفيق بتجديد إيوان عبد الرحمن كتخدا أو قسم كبير من الإيوان الشرقى القديم ورواق الصعايدة ورواق الحرمين والعقود حول الصحن . وفى عام ١٨٩٠ م أى بعد عامين فقط من هذه الأعمال ، تم تجديد عقود وأكتاف الإيوان الغربى وعمرت القبة الفاطمية .

وفى عهد ابنه الخديو عباس حلمى الثانى ، كانت أعمال التجديد قائمة فأدى فيه فريضة الجمعة فى شهر جمادى الأولى ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م ، وأمر باستمرار أعمال الترميم كما أمر بإصلاح الخواجز الخشبية وكتب عليها أنها جددت فى عهده . كما أنشأ الخديو عباس حلمى عام ١٨٩٦ م مكتبة الأزهر مكان المدرسة الإقبغاوية التى تم إصلاحها ، وتم جمع الكتب من أروقة الأزهر وغيرها ، وتم إيداعها بهذه المكتبة . كما تم اعتبار بقايا المدرسة الطيرسية ملحقاتاً للمكتبة ، وإن ظل لبعض الأروقة مكتبات خاصة بها تضم كتباً نادرة .

وبعد تمام إنشاء مكتبة الأزهر الجديدة تم جمع الكتب المبعثرة ، ثم أهديت لها مكتبات سليمان باشا أباطة وأحمد باشا راشد ومختار باشا الغازى ومعظم شيوخ الأزهر

وعلمائه ، وبهذه المكتبة أكثر من ١٠٠ ألف مجلد . كما أنشأ الخديو عباس الرواق العباسى الذى افتتح عام ١٨٩٨ م .

وفى عصر الملك فؤاد الأول اكتشف المحراب الفاطمى القديم فتم إصلاحه ، ثم أصدر الملك عام ١٩٣٠ م أوامره بإنشاء كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية . وفى ستينيات القرن العشرين تم وضع نظام جديد للتدريس فى الجامع الأزهر فيما سمي بتطوير الأزهر فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ، بإنشاء كليات الطب والتجارة والدراسات الإسلامية وغيرها . . وقبيل نهاية القرن العشرين ، وفى عصر الرئيس حسنى مبارك تمت أعمال كبيرة للصيانة مع تجديد شامل لمباني الجامع الأزهر . . وتم نقل مقر مشيخة الأزهر إلى مبنى حديث أقيم فوق تلال الدراسة ، وإنشاء الكليات الجديدة ومقر الجامعة فى مدينة نصر ، وظلت الكليات القديمة فى موقعها القديم حول الجامع الأزهر وكذلك مدينة البعوث الإسلامية ، مع إنشاء مباني جديدة لسكنى طالبات الجامعة فى مدينة نصر .

وتظل هناك علامات بارزة فى تاريخ الأزهر . . منها الدور الكبير لمقاومة الحملة الفرنسية على مصر بين عامى ١٧٩٨ و ١٨٠١م حتى اقتحمت الخيل الأزهر . . وكان لعلماء الأزهر دورهم الكبير فى وضع محمد على باشا والياً على مصر عام ١٨٠٥م ، ثم الدور الشعبى الكبير لطلبة وعلماء الأزهر خلال الثورة الشعبية الكبرى عام ١٩١٩م ، عندما خطب علماء وشيوخ الأزهر فى الكنائس . . وخطب القسس وفى مقدمتهم الأب جرجوريوس من فوق منبر الأزهر دعوة ودعمًا لثورة الشعب الأولى ضد الاحتلال .

مشهد الإمام .. وشى الله يا حسين :

منطقة حى الحسين من أصغر أحياء القاهرة المحروسة . . وحى كله يتحلق فى دائرة صغيرة حول المسجد والمشهد الحسينى ، وكأن الناس يريدون أن يلتصقوا بصاحب المشهد الحزين تقرباً وطلباً للشفاعة فهو ابن بنت النبى ﷺ . ولعشق المصريين للإمام

الحسين كانوا يحرسون على زيارة مشهد الإمام الحسين . . ولهذا نجد الكثير من الخانات التى هى فنادق ولوكاندات أيام زمان . . كما نجد منذ بداية القرن العشرين عديداً من اللوكاندات الصغيرة ورخيصة السعر . كما كان لقرب حى الحسين وملاصقته للأزهر ولحى القصبة حيث دائرة النشاط الاقتصادى لمصر كلها . كان لكل هذا أثره فى أن يصبح هذا الحى مع حى الأزهر المركز التجارى لمصر ، وكانت تباع فيه وتشتري كل السلع المصرية أو الواردة من الشام والسودان والمغرب . وحى الحسين محصور بين الأزهر والغورية وخان الخليلي وبيت القاضي .

ويجب كل المصريين الإمام الحسين ، ويحرصون على زيارة مشهده ، ليس فقط لأنه حفيد رسول الله ، ولكن بسبب الظلم الذى وقع له حتى سقط شهيداً فى كربلاء ، ومثل الأمويون بجثته وقطعوا رأسه . فما حكاية الإمام الحسين الذى وضع اسمه على واحد من أشهر أحياء القاهرة المحروسة ؟!

هو ابن على بن أبى طالب ، ولد فى شعبان من السنة الرابعة للهجرة ، وأذن الرسول الكريم ﷺ ، فى أذنه . . وسماه حسيناً ، وهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة . أمه السيدة فاطمة بنت الرسول الكريم ﷺ ، وكجزء من الصراع السياسى نشب الصراع رهيباً بين البيت الأموى وبين معارضيه . . وكان أشد ما يكون مع آل البيت ، وفى مقدمتهم الحسين بن على ، رغم تنازل الحسن لمعاوية . . ولما مات معاوية كتب أهل الكوفة إلى الحسين يسألونه القدوم إليهم وبايعوه فصدقهم وسافر من مكة إلى العراق ، ووقعت معركة كربلاء وسقط الحسين شهيداً فى كربلاء فى شهر المحرم من عام ٦١هـ ، بعد أن تآلبت عليه جيوش عبد الله بن زياد وإلى الكوفة ، وأصابه سهم فى فمه ، ثم قطعوا رأسه ، وكذلك رؤوس ٧٢ من رجاله وعشيرته ، وبعث قادة جند الأمويين بالرؤوس إلى وإلى الكوفة .

وتم دفن جسد الحسين ومن معه فى اليوم الثانى فى كربلاء ويعرف قبره إلى اليوم بمشهد الحسين هناك ، وأرسل الأسرى ومعهم رأس الشهيد الحسين إلى دمشق حيث يزيد بن معاوية . فلما وضع الرأس بين يديه بكى ، ثم أمر بإرسال النساء والأطفال

مكرمات إلى المدينة المنورة ، وبعث برأس الشهيد إلى واليه في المدينة عمرو بن سعيد فكفنها وأمر بدفنها بالبقيع قرب أمه وأخيه الحسن . وقيل إن الرأس الكريم أعيد إلى الجسد بعد ٤٠ يوماً ودفن معه في كربلاء . وقيل إن الرأس دفن عند باب الفرديس بدمشق . وقيل إن الرأس وضع بخزانة السلاح بدمشق وبقي بها حتى ولى سليمان ابن عبد الملك عام ٩٦هـ - ٧١٤م ، فحمل الرأس في ثوب وعطره وصلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين . وقيل إن القبر نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس ، ويروى أن الرأس نقل بعد ذلك إلى عسقلان ، إلى أن زارها بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله عام ٤٨٤هـ - ١٠٩١م ، فأرشدوه عن مكان الرأس فأخرجه وأنشأ عليه مشهداً كبيراً .

ويقال إن أبا مسلم الخراساني بعد أن استولى على دمشق نقل الرأس منها إلى مرو فدفن بها في دار الإمارة . ولهذا السبب نجد مشاهد عديدة باسم الحسين في مدن عديدة من مرو شرقاً إلى حلب إلى دمشق إلى عسقلان في فلسطين . ويقال إن الرأس الكريم كان في عسقلان ، فلما استولى الصليبيون على المدينة خافوا عليها ، وتم نقل الرأس إلى القاهرة ودفن بها في المشهد المعروف الآن بمصر . وتناول موقع الرأس كثير من المؤرخين ، حتى قيل إن الرأس حمل إلى القاهرة فوصل إليها يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة عام ٥٤٨هـ - ١١٥٣م ، ويقول القلقشندي إن الرأس نقل من عسقلان إلى القاهرة عام ٥٤٩هـ - ١١٥٤م ، وأخذ ابن إياس بنظرية مشهد عسقلان ونقل الرأس إلى مصر .

المشهد الحسيني بالقاهرة ووصول الرأس إلى مصر :

عندما وصل الرأس الشريف من عسقلان إلى القاهرة عام ١١٥٣م حمل في سرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن في قبة المشهد الذي أنشئ خصيصاً له عام ٥٤٩هـ - ١١٥٤م ، ولما تولى صلاح الدين حكم مصر عام ١١٧١م أنشأ مدارس للمذاهب الأربعة ، منها مدرسة بجوار هذا المشهد . وهذا يعنى كما يقول العلامة حسن عبد الوهاب أن المسجد الحالى أقيم مكان تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب .

وفى عام ١٢٣٥م بدأ أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور فى إنشاء منارة على باب المشهد ، أتمها ابنه بعد عام ، وهى المنارة الحافلة بالزخارف الجصية فوق الباب الأخضر .

ثم زاد فى البناء وزير الصالح نجم الدين أيوب ، ولكن فى عام ١٢٤٨م حدث حريق بالمشهد ، فتم إصلاح ما حدث .

وتوالى أعمال العناية على مر الزمن خصوصاً فى فترة حكم العثمانيين لمصر إلى أن جده الأمير عبد الرحمن كتحدا عام ١٧٦١م .

وعندما قرر عباس الأول والى مصر توسيع المسجد ، اشترى المباني الملاصقة له وهدمها وبدأ البناء ولكنه توفى . إلى أن أمر الخديو إسماعيل عام ١٢٧٩هـ - ١٨٦٢م بتجديد المسجد وتوسيعه ، وتم فتح السكة الجديدة ورأى ترك القبة على حالها ، ونقل إليها منبراً جميلاً كان فى جامع أزبك من طمخ بالأزبكية ، واشترى من ماله الخاص أعمدة رخامية من إستانبول . وتم بناء المسجد عام ١٢٩٠هـ - وبناء المنارة عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٣ - ١٨٧٨م) وأمر بعمل ستر مزركش له . وفى عام ١٨٨٥م تم كساء المحراب بالقاشانى ، ثم أمر الخديو عباس حلمى الثانى بإعادة نقوش القبة وفتح نوافذ جديدة بها ، ثم جدد الملك فؤاد الأول ستر المشهد ، وفى عهد الملك فاروق تم إصلاح أرضية القبة وأخرج التابوت الخشبى النادر وتم إصلاحه .

ولم يبق من المشهد الفاطمى إلا الباب الأخضر المبنى بالحجر ، وتخلف من المنارة الأيوبية التى أنشأها الزرزور القسم الأسفل منها .

وأهم ما بقى من المشهد القديم التابوت الخشبى ، الذى كان محتجباً تحت المقصورة ، وهو تابوت موشى بالذهب والفضة وظل محتجباً عن الأنظار ٨ قرون ، ولم يسعد برؤيته إلا السيد محمود البىلاوى والسيد محمد البىلاوى . ويقول حسن عبد الوهاب - آخر من شاهد التابوت - إنه لما أمر الملك فاروق بوضع رخام جميل مكان قاشانى أرضية المقصورة . وعند كشف أرضية القبة انتهز الفرصة يوم ١١ سبتمبر

١٩٣٩م ، وهبط أسفل المقصورة ومعه محمد عرفة فبهرته صناعة التابوت ، ووجد التلف أصابه فصوره وعرض الأمر على لجنة حفظ الآثار العربية ، وأخرج التابوت وتم إصلاحه وإعادةه إلى مجده الفنى ، ثم أودع دار الآثار العربية فى ٢٢ يناير ١٩٤٥م .

وهذا التابوت مصنوع من خشب الساج الهندى ، مكون من جنب ورأسين محاط بكتابات بالخط الكوفى والنسخ الأيوبى . وواضح أن صلاح الدين الأيوبى هو الذى أمر بصنع هذا التابوت .

وداخل المشهد الحسينى حجرة لحفظ المخلفات النبوية أنشئت عام ١٣١١هـ - ١٨٩٣م مجاورة للقبة ، وتشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية : قطعة من القميص الشريف للرسول ﷺ ، ومكحلة ومرودين . وقطعة من العصا الشريفة وشعرتين من اللحية الشريفة . . وبها مصحفان كريهان بالخط الكوفى أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والآخر بخط الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . . «وكان الخديو عباس حلمى الثانى هو الذى أمر بإنشاء حجرة المخلفات النبوية هذه .

ومصحف عثمان بن عفان تجاوزت أوراقه الألف ، ومكتوب على رق بالخط الكوفى البسيط الخالى من الإعجام والشكل ، وبكل صفحة ١٢ سطراً وحليت رؤوس السور بإفريز زخرفى . وأول المصحف مهلهل وعلى حافته إحمرار يقال إنه دم عثمان . . وهذا غير صحيح ، كما يقول حسن عبد الوهاب . وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م اهتمت الحكومة بالمسجد وتم تجديده وزيادة مساحته لتصل إلى ٣٣٤٠ متراً مربعاً ، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متر فقط ، وأضيف للمسجد مبنى من دورين لإدارته يقع فى الجهة الشرقية بجوار غرفة المخلفات ، كما أنشئت مكتبة خاصة بالمسجد مساحتها ١٤٤ متراً مربعاً .

وأزيلت المباني التى كانت تحجبه عن الميدان ، وعملت واجهة جديدة للجامع ليصبح طولها ٤٥ متراً وعرضها ٨ أمتار . وصنع منبر جديد من الخشب العزيرى والجوز

التركي والزبان ، وأقيمت دورة مياه جديدة في الجهة البحرية . وقد أهدت طائفة البهرة للمسجد مقصورة من الفضة ، رصعت بفصوص من الماس عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

أما حجرة التابوت فتقع في الطبقة الثالثة من أرض القبة ، وقد وضع الرأس فيها على كرسي من الأبنوس . وهي ملفوفة في برنس أخضر ، وحولها نحو نصف أردب من الطيب الذي لا يفقد رائحته بتوالى السنين . وفوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كل فجوة باب متين ، والحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب .

وقبل أن نترك حى الحسين ، نقول إن هناك مسجداً بالقرب منه هو مسجد العدوى الواقع بعطفة الشنوانى المتفرعة من شارع السكة الجديدة بجوار المشهد الحسينى . وكان يشغل هذه البقعة دار الست زينب بنت السلطان قلاوون ، التى آلت بعد ذلك إلى وقف سيدنا الحسين ، فلما تحربت اشتراها الشيخ حسن العدوى من ديوان الأوقاف وبنى الجامع على جزء منها . وكان يوجد بجوار هذه الدار ضريح الشيخ الشنوانى ، وعدة أضرحة أخرى أدخلها الشيخ العدوى فى حدود جامعہ ، بعد أن جددها وأقام عليها مقصورة كما بنى لنفسه مدفين . وأنشأ فى الجزء الباقى من دار بنت السلطان حماما للرجال والنساء ، ووقفه على الجامع وبنى ربعاً على باب الميضأة وأقام بقرب الحمام داراً لسكنه بقرب الباب الأخضر .

والشيخ العدوى الذى أنشأ هذا المسجد عام ١٢٨٣هـ هو حسن العدوى الحمزاوى ، أحد علماء المالكية بالأزهر ، ولد فى قرية عدوة من قرى مغاغة بالمنيا عام ١٢٢١هـ فنسب إليها . وعدوة يشتهر أهلها بزراعة الكتان ، وكانت تكثر بها قاعات الغزل والنسيج ، ويوجد فى عدوة مسجد كبير أنشأه أيضاً الشيخ حسن ، الذى تلقى علومه فى الأزهر ثم تولى التدريس فيه وعمره ٢١ عاماً . وللشيخ تاريخ مجيد أيام الخديو إسماعيل والخديو توفيق . وكان الشيخ حسن من أبطال الثورة العربية وحوكم بتهمة أنه أفتى بخلع توفيق ، وبسبب شجاعته هذه تم نفيه - بعد محاكمة العربيين - إلى

قريته عدوة . وعندما توفي عام ١٣٠٢ هـ دفن بالضريح بجوار ضريح الشيخ الشنوانى .
ويبقى أن نقول إن باب الديلم ، وهم من قبائل المغرب التى فتحت مصر مع جوهر
الصقلى ، مكانه الآن المشهد الحسينى .

وبسبب الجو التاريخى والشرقى فى هذا الحى العريق يحلو للقاهريين أن يمضوا
سهراتهم خصوصاً فى شهر رمضان حول الحسين وبالقرب من مشهده . وفى شوارع
خان الخليل الضيقة فيه ، ومن أشهر مقاهيه نجد مقهى الفيشاوى الذى بدأت فى
عشرينيات القرن العشرين واشتهر بتقديم الشاى الأخضر مع الشيشة .
وتشتهر هذه المنطقة برائحة البخور الشرقى الجميل ، التى تضيف على الحى شيئاً
من عبق التاريخ .

وللمصريين عشق كبير بالصلاة فى مسجد الإمام الحسين ، وبالذات صلاة الفجر
فى شهر رمضان الكريم .

المثلث المبارك :

●● ونصل إلى حى السيدة عائشة الذى يتوسطه الجامع الذى يحمل الحى اسمه . .
وقد أقيم هذا الجامع فى أقصى نقطة عمران فى شرق القاهرة ، وهو على حافة المدينة
ويطل على مقابرها . . ويفصل ميدان السيدة عائشة عن ميدان صلاح الدين «قره
ميدان» خط سكة حديد المحاجر ، ثم القلعة وبينهما منطقة عرب آل يسار . وشرق
جامع السيدة عائشة بجنوب ، نجد مقابر المماليك ومنطقة أبو سبحة . أما جنوبى
الجامع فنجد شارع الزرايب ومنطقة الزرايب وباب القرافة . وفى الغرب نجد جامع
سيدى على البقى وشارع البقى ودرب الحصر لنصل إلى جامع السيدة سكينة غرباً ؛
حيث يتوسط الجامع منطقة جامع السيدة عائشة وموضع مدينة القطائع وجامع ابن
طولون وقلعة الكبش وجبل يشكر . .

هذه هي معالم حى السيدة عائشة ، كما جاءت فى خريطة مطبوعة فى أول القرن العشرين .

ويمكن أن نتحدث هنا عن مثلث مبارك ، يمتد من جامع السيدة عائشة فى الشرق وجامع السيدة سكيئة فى الغرب وجامع السيدة نفيسة . . ثم جبانة السيدة نفيسة للمسلمين . وفى الغرب من كل هذا نجد شارع الخليفة وامتداد شارع الأشرف ، وفى الشرق نجد مجرى العيون ، أما جنوب كل هذا فنجد جبانة الإمام الشافعى . وإذا تركنا هذا المثلث المبارك واتجهنا غرباً ، نجد تلؤل زينهم جنوبى موقع مدينة القطائع وقلعة الكباش . وهذا المثلث يقودنا غرباً إلى حى السيدة زينب لنجد أهم الشوارع الطولية ، شارع السد البرانى ثم شارع طولى آخر هو شارع زين العابدين الذى يصب فى سكة المديح ويتوسط حى البغالة .

أما الشوارع العرضية من جنوب شارع مراسينه . . فنجد شوارع سلامة والشيخ البغال وحارة الشيخ سليم وشارع التلؤل وشارع ممتاز ، وبعد أن نعبر سكة المديح غرباً نصل إلى عيش زينهم . ومن سكة المديح ننزل إلى شارع السلخانة فميدان السلخانة فالمديح نفسه . وبين سكة المديح وشارع السلخانة نجد جامع سيدى على زين العابدين .

واللافت للنظر أننا نجد جنوب عيش زينهم ، وغير بعيد ، عن جامع زين العابدين ، وحول المديح نجد جبانة الأرمن وجبانة الأقباط الارثوذكس وجبانة الإفرنج الكاثوليك القديمة وجبانة البروتستانت القديمة وجبانة الإفرنج الكاثوليك الجديدة شرق شارع سيدى حسن الأنور الذى يؤدى إلى جامع حسن الأنور شرقى فم الخليج . وبين عيش زينهم نجد حى الديورة وسط كل هذه الجبانات ، وقبل أن نصل إلى فم الخليج .

ولكن ما صورة هذا المثلث بعد ٤٠ عاماً من الخريطة السابقة ؟

نجد العمران زاد وانتشر شرقاً وجنوباً وغرباً ، رغم أن سجن المنشية مازال موجوداً

جنوب ميدان صلاح الدين «قره ميدان» ، فشارع الإمام الليثى يمتد جنوباً بعد أن يعبر حوش الباشا الذى يصب فيه شارع السيدة نفيسة . وشرق كل هذا نجد شارع الإمام الشافعى .

وجنوب مسجد السيدة عائشة نجد باب القرافة وباب قايتباى وظل شارع البقل فى الغرب ، وغربه شارع الركبة وامتداده شارع الخليفة فشارع الأشرف . وكان كل هذا موجوداً منذ خريطة أوائل القرن العشرين شرق جامع السيدة سكينة وجنوب باب السيدة نفيسة . ونجد تلؤل زينهم تتقلص ؛ إذ يزحف العمران عليها شمالاً من حى طولون وغرباً من زين العابدين ، كما هى بالأسماء نفسها . . أما الأحياء فتبقى كما هى بأسمائها .

وفى حى زين العابدين تستمر المسميات ، ونجد شارع زين العابدين يصل بين ميدان السيدة زينب إلى أن يصب فى سكة المدبح . وفى الشرق من هذا كله نجد باب طولون .

ونصل إلى المثلث المبارك فنجد فى ميدان السيدة عائشة ، تم بناء كوبرى معدنى علوى ؛ لتعبر عليه حركة المرور ، بعد أن زادت الحركة على محور طريق صلاح سالم . وتتضح أكثر معالم هذا المثلث ، فنجد حى الخليفة وقد ازدادت فيه حركة العمران . . فنجد شارع الإمام الشافعى وغربه شارع الإمام الليثى ثم شارع السيدة نفيسة فشارع عين الصيرة ، بينما تظل سكة حديد حلوان - المحاجر - فإذا انتقلنا إلى السيدة زينب والبالغلة نجد شوارع السد البرانى ، بعد أن يعبره كوبرى فم الخليج العلوى ويتقاطع معه شارع بيرم التونسي ، الذى يصل إلى حى زينهم ، وشمالاً نجد شارع عبد المجيد اللبان وشارع قدرى ، ويبدأ شارع بورسعيد من عند شارع السد البرانى من ميدان السيدة زينب نفسه .

وفى خريطة طبعتها مصلحة المساحة عام ١٩٦٢ م ، وأعيد طبعها عام ١٩٨٤ م ، نجد جامع ومقام سيدى على زين العابدين يتوسط مستطيلاً ضلعه الشمالى شارع بيرم

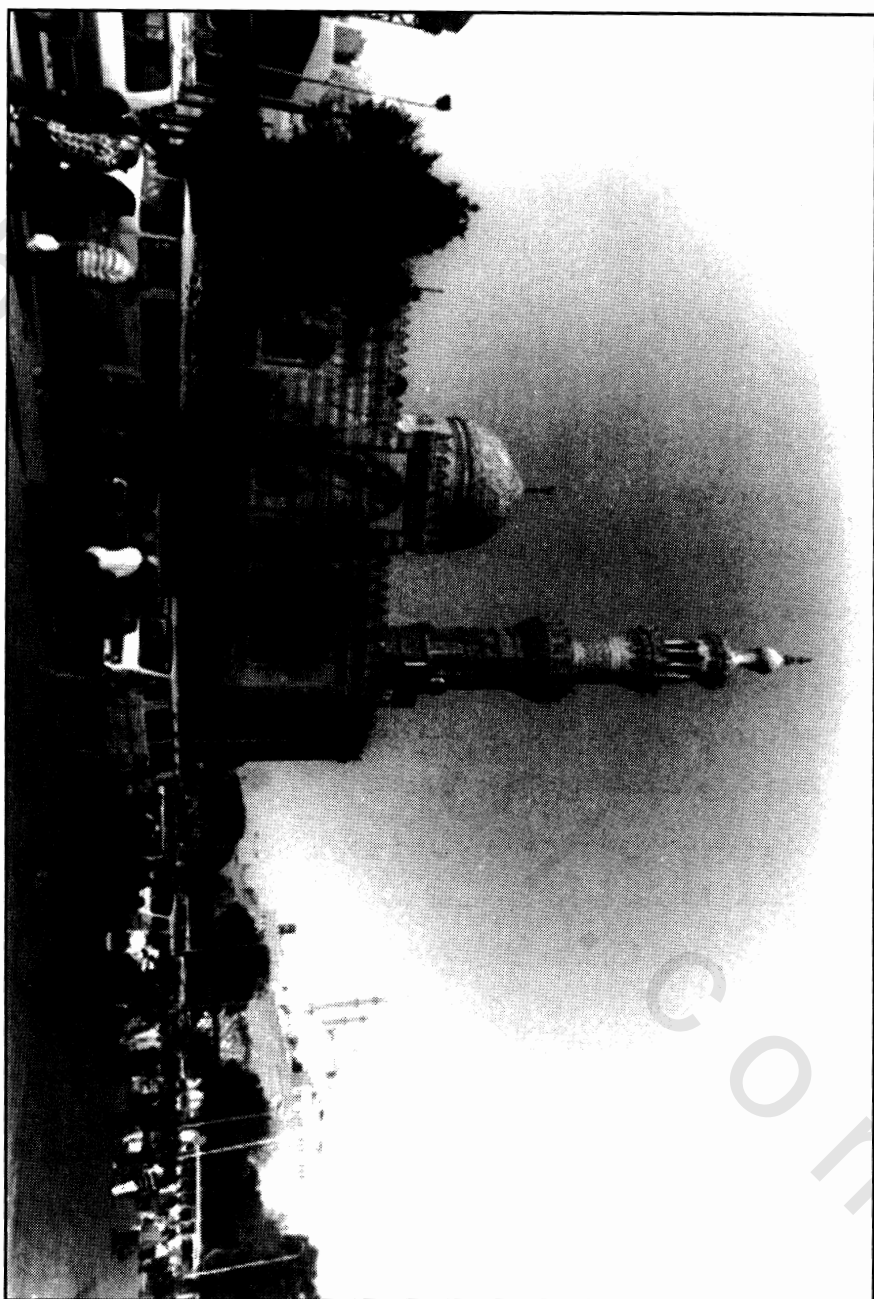
التونسي ، وضلعه الجنوبي شارع ابن يزيد ، وضلعه الغربي شارع السلخانة والمديح القديم نفسه . أما الضلع الشرقي والجنوبي ، فيصل الى شارع مجرى العيون . أما شارع زين العابدين ، فيبدأ من ميدان السيدة زينب شرق جامع ومقام السيدة زينب بين الجامع غرباً وقسم شرطة السيدة شرقاً . أما حارة سيدى زينهم فتبدأ من شارع الشيخ البغال ، وتتجه جنوباً إلى أن تصل إلى شارع بيرم التونسي . وفي أقصى الشرق من السيدة زينب ، نجد مسجد أحمد بن طولون وشارع طولون .

ولكن من هى السيدة عائشة ؟

هى بنت جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين بن على . . وهى أخت الإمام موسى الكاظم رضى الله عنه . وكانت من العابدات المجاهدات . . وكانت تقول مخاطبة المولى عز وجل : وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لأخذن توحيدى بيدي وأطوف به على أهل النار ، وأقول لهم : وحدته فعذبني !! وقد توفيت عام ١٤٥هـ . .

وهناك إجماع على وجودها بمصر . يقول ذلك ابن الزيات ، وهو خير من ألف في أعلام القرافتين الكبرى والصغرى . وتبعه السخاوى في كتابه « تحفة الأخبار » في القول إنها بمصر ، وأنه عاين قبرها في تربة قديمة على بابها لوح رخامى مكتوب عليه : هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق . توفيت عام ١٤٥هـ . وقال الشعرانى في متنه : أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة عائشة فى المسجد الذى له المنارة الصغيرة على يسار من يريد الخروج من الرميطة إلى باب القرافة ، وكل هذا يؤكد أنها شرفت مصر وتوفيت عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م

●● أما مسجد السيدة عائشة ، فقد أنشأه الأمير عبد الرحمن كتحدا عام ١١٧٦هـ - ١٧٦٢م وكانت له عناية كبيرة بالمشاهد المنسوبة إلى آل البيت . ولهذا المسجد واجهة غربية اشتملت على بابين ، تقوم بينهما المنارة والباقي منها دورتها الأولى . ومن هذا الباب يتوصل إلى داخل المسجد . وقد عمر المسجد عام ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م ، أما



مسجد السيدة عائشة في ظلال القلعة ومسجد محمد علي باشا في الخي الذي يحمل اسمها .



مسجد السيدة سكينة .

الباب الثانى فتوجد على يساره المنارة . وهذا الباب يؤدى إلى طرقة على يسارها باب ، له عقد تحيط به كرانيش متعرجة ، يؤدى إلى المسجد ، وبصدرها القبة التى فرشت أرضيتها بالرخام الملون ، وتتوسطها مقصورة خشبية حول القبر الشريف . ومن المرجح وجود حجرة تحت أرضية هذه القبة تضم تابوتاً أثرياً ، كما هو مألوف فى كثير من المشاهد ، ففى عام ١٩١٣م قامت لجنة حفظ الآثار العربية بفحص قبة محمد الأنور بشارع الخليفة ، وكانت من القباب الفاطمية ، وتبين أنها لما جددت عام ١١٩٥هـ - ١٧٨١م ، احتفظ بقاعدة القبة القديمة وبالقبر بها ، وعملت أرضية جديدة .

ويؤكد أحمد زكى باشا - كما يقول الأثرى حسن عبد الوهاب - أن المشهد القائم فى هذا المكان باسم السيدة عائشة النبوية هو حقيقة متشرف بضم جثمانها الطاهر . ولما أدى الملك فاروق فريضة الجمعة يوم ٨ المحرم عام ١٣٥٩هـ - ١٦ فبراير ١٩٤٠م ، أمر بإصلاح المسجد والعناية به ، فتم إصلاح الأبواب ودكة المبلغ وعمل منبر له ونقشت سقوفه ، وأحيطت جدران المسجد بوزرة خشبية ملونة تقليداً للرخام .

وقد ظل قبر السيدة عائشة حتى القرن السادس الهجرى مزاراً بسيطاً ، يتكون من حجرة مربعة تعلوها قبة ترتكز على صفيين من المقرنصات . أما فى العصر الأيوبي فقد انشئ بجوار القبة مدرسة ، وعندما أحاط صلاح الدين عواصم مصر الأربع بسور واحد ، فصل هذا السور قبة السيدة عائشة عن بقية القرافة ، فرأى صلاح الدين أن يقيم بجانب القبة مدرسة ، كما أنه فتح فى السور باباً سماه باب السيدة عائشة وهو المعروف بباب القرافة .

والمسجد الآن بشارع السيدة عائشة عند بداية الطريق الموصل إلى مدينة المقطم . وقد تهدم المسجد القديم فأعاد بناءه الأمير عبد الرحمن كتحدا فى القرن ١٨م .

●● ونصل إلى السيدة سكيئة . . فمن هى ؟

هى السيدة آمنة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ، أمها رباب بنت أمرى القيس

بن عدى بن ثاو سيد بنى كلب . ولدت عام ٤٧هـ وسميت باسم جدتها أم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لقبها أمها رباب باسم سكينه لأن نفوس أسرتها كانت تسكن إليها لفرط مرحها وحيويتها .

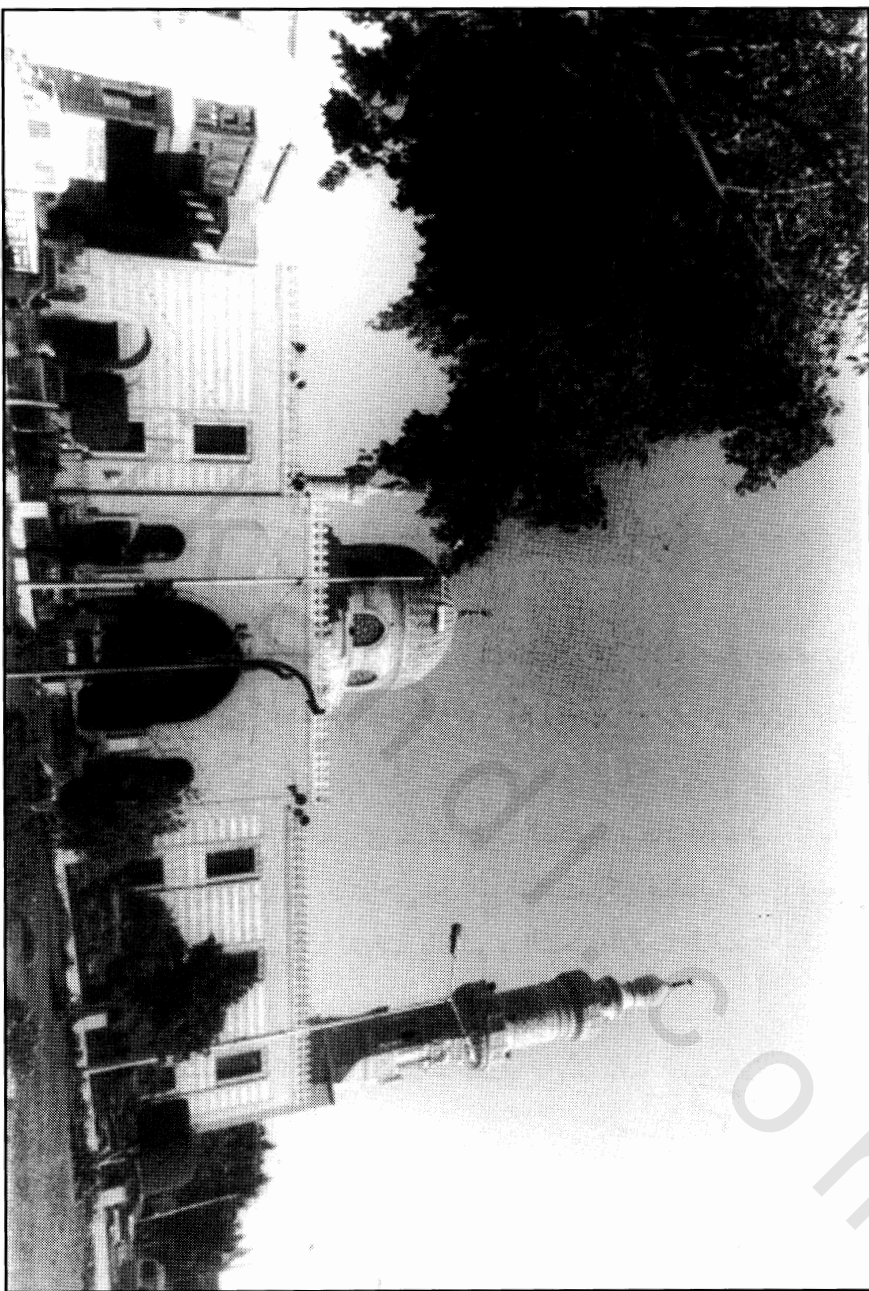
بدأت شخصية السيدة سكينه تظهر في مكة ، عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها ، فحين أقبل موسم الحج عام ٦٠هـ كانت سكينه قبله الأنظار لحسنها وأناقتها الساحرة حتى صارت مثلاً يحتذى ، ولكن هذا لم يلهها عن التعب الذي يصل إلى درجه الاستغراق . وخرجت سكينه من المدينة مع والدها الحسين عام ٦٠هـ يريد الكوفة ليجاهد بأهلها ضد الطغيان الأموى . وبعد استشهاد الحسين وأصحابه في كربلاء ، ساق زياد بن أبيه والى الكوفة السيده سكينه مع بقية نساء آل البيت إلى دمشق سبائاً إلى الخليفة يزيد بن معاوية ، ثم عادت إلى المدينة لتعيش مع أمها رباب التى ماتت بعد عام .

واختلفت الروايات عن أزواج السيدة سكينه ، وإن اتفقت على ثلاثة هم : مصعب بن الزبير . . ثم عبد الله بن عثمان بن عبد الله . . ثم زيد بن عمرو بن عثمان ابن عفان .

وكانت سكينه سيدة المجتمع الحجازى ، كما تقول الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها «مساجد مصر» . وكانت السيدة سكينه هى أول من استنتت فكرة الصالونات الأدبية ثم تبعتها سيدات قریش ، وامتازت ندواتها بالعلم و الشعر والأدب الرفيع ، وكان الرجال يحتكمون إليها .

وماتت السيدة سكينه عام ١١٧ هـ ، وخرج نعشها ، وأمر أمير المدينة الأموى أن يؤخروا الصلاة عليها حتى يحضر ، وجلس الناس حولها حتى العشاء ولم يحضر الأمير فصلوا عليها جماعات ، وفى صباح اليوم الثانى دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .

وضريح السيدة سكينه يقع بحى الخليفة فى شارع يحمل اسمها ، واختلف المؤرخون



مسجد السيدة نفيسة في الحى الذى يحمل اسمها .

فى صحة وجودها به . والذين يقولون بوجودها فى مصر يعتمدون على رواية أن والى مصر من قبل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان خطبها فجاءت إلى مصر ، وهى أول من دخلها من نسل الإمام على كرم الله وجهه ، ثم عادت إلى المدينة المنورة . ويقولون إنها جاءت مصر مع عمتها السيدة زينب ، وقالت الدكتوراة بنت الشاطىء إنها ترى أن السيدة سكرينة قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب عام ٦٢ هـ .

وإذا كانت قد شاعت أن يلجأ الناس إلى الأصرحة يتلمسون بركة آل البيت ويواجهون المحن والبلاء . . فإن هناك ما يعرف باسم أصرحة الرؤيا ، فإذا رأى ولى من الأولياء فى منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجداً أو ضريحاً لأحد من آل البيت المسمى فى الرؤيا ، كان عليه أن يقيم المسجد أو الضريح باسمه .

●● ونصل الى السيدة نفيسة :

هى ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأنجل ابن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب ، ولدت بمكة عام ١٤٥ هـ ، ونشأت بالمدينة المنورة ، وكانت لاتفارق حرم الرسول عليه السلام . حجت ٣٠ حجة أدت معظمها ماشية ، وكانت تبكى بشدة وتتعلق بأستار الكعبة . قالت عنها ابنة أخيها إنها خدمت عمتها نفيسة ٤٠ عاماً فما رأتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار . . وكانت تحفظ القرآن وتقرأ تفسيره وهى تبكى . وزارت مع زوجها قبر إبراهيم الخليل ، ثم رحلا معاً إلى مصر فى رمضان ١٩٣ هـ ، وكان لقدمها إلى مصر أمر عظيم تلقاها الرجال و النساء بالهوادج من العريش ، وقد أحبها أهل مصر حباً جماً ، ويعتقدون فى كراماتها ؛ فكانوا إذا نزل بهم أمر جاءوا إليها يسألونها الدعاء . وبسبب ازدهام الناس حول بيتها ، فكر زوجها أن يرحل معها إلى الحجاز ، ولكنها قالت له إنها رأت فى المنام رسول الله ﷺ يقول لها : لاترحلى من مصر، فإن الله تبارك وتعالى متوفيك بها . .

وكانت السيدة نفيسة تتناول أكلة واحدة كل ثلاثة أيام ، وأقامت السيدة نفيسة

بمصر ٧ سنوات . وفي شهر رجب ٢٠٨ هـ مرضت . ولما أحست بدنو أجلها ، كتبت إلى زوجها إسحق المؤمن كتاباً ، وحفرت قبرها بيدها في بيتها . وكانت تنزل فيه وتصلي كثيراً . وقرأت فيه ١٩٠ ختمة . وكانت إذا عجزت عن القيام تصلى قاعدة وتسبح وتقرأ كثيراً وتبكي بشدة . ولما حانت الساعة ، وكان ذلك أول جمعة من شهر رمضان ، قرأت سورة الأنعام ، وكان الليل قد هدأ ، فلما وصلت إلى قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) غشى عليها فضممتها زينب ابنة أخيها إلى صدرها فشهدت شهادته الحق وتوفيت إلى رحمة الله . .

وأراد زوجها أن يحملها إلى المدينة ليدفنها في البقيع ، فاجتمع أهل مصر إلى الوالي عبدالله بن الحكم واستجاروا به عند زوجها ليرده فأبى . فجمعوا له مالاً وفيراً حتى وسق بغيره وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى . فلما أصبحوا وجدوه مستجيباً لرغبتهم ، فلما سألوه عن سبب هذا التحول ، قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي رد عليهم أموالهم وأدفنها عندهم . »

ودفنت السيدة نفيسة بدارها بدرب السباع بين القطائع والعسكر ، التي عرفت بعد ذلك بكوم الخارجى . وكان يوم دفنها يوماً عظيماً مشهوداً ، فقد هرع أهل مصر فصلوا عليها بعد دفنها . وبعد ذلك خرج زوجها إسحق المؤمن من مصر ، ومعه ولده القاسم وأم كلثوم إلى المدينة حيث ماتوا جميعاً ودفنوا بالبقيع .

وكان يفد على السيدة نفيسة في حياتها رجال الدين الإسلامى وكبار العلماء ؛ فقد زارها الإمام الشافعى ومعه الوالى عبد الله بن الحكم ، ولما مات الشافعى عام ٢٠٤ هـ أدخلت جنازته إليها فصلت عليه في دارها ، وكانت موضع مشهدها الحالى . وقالت : رحم الله الشافعى فقد كان يحسن الوضوء . .

ولا خلاف على قبر السيدة نفيسة .

وأول من بنى على قبرها هو عبد الله بن السرى بن الحكم والى مصر الأموى ، ثم أعيد بناء الضريح في عهد الدولة الفاطمية ؛ حيث أقيمت عليه قبة عام ٤٨٢ هـ .

وتصدعت القبة في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله ، فجددت وكسى المحراب بالرخام عام ٥٣٢ هـ .

كما عمر الأمير عبد الرحمن كتحدا المشهد النفيسى ومسجده ، وبنى الضريح على هيئته الحالية . وجعل لزيارة النساء طريقاً بخلاف طريق الرجال عام ١١٧٣ هـ ، وقد تم وقف ١٥٠ فدانا ، وكذلك عدد من الرباع والخوانيت للإنفاق عليه ؛ بالإضافة إلى حصيلة صندوق النذور .

●● ثم نصل إلى مشهد الإمام زين العابدين في الحى الذى يحمل اسمه :

هو الإمام زيد بن علي المعروف بزين العابدين ، ابن الحسين بن علي بن أبى طالب ، وإليه تنسب طائفة الزيدية أكبر فرق الشيعة وأكثرها اعتدالاً وقرباً إلى أهل السنة . وانتشرت الزيدية في اليمن وطبرستان . وكان زيد يحدث نفسه دائماً بالخلافة ، ويرى أنه أهل لذلك ، ولما وفد على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك آنس منه جفوة ، فكانت سبب خروجه على بنى أمية ومطالبته بالخلافة ، فسار إلى الكوفة ، ولكنه هم بالرجوع إلى المدينة فتبعه أهل الكوفة وأقنعوه بالبقاء ومحاربة بنى أمية . هنا حشد يوسف بن عمر أمير الكوفة جيوشه ووقعت معركة فانفض عنه أصحابه ، وبقي هو وفئة قليلة من أهله يقاتل قتالاً شديداً ، حتى سقط شهيداً في شهر صفر عام ١٢٢ هـ - ٧٣٩ م .

واختلف المؤرخون على مكان دفنه . كما اختلفوا من قبل على رأس جده الحسين . ف قيل إنه حمل إلى الكوفة ، ثم أحرق وذر رماده في نهر الفرات ، وقيل : بعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك فنصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة . أما الكندى فيؤكد أن الرأس جاء إلى مصر ودفن بها . وقيل إنه بعد قدوم رأسه إلى مصر ، طيف به ثم نصب على المنبر بالجامع بمصر ؛ أى جامع عمرو بن العاص عام ١٢٢ هـ ، فسرق ودفن في هذا الموضع ، إلى أن ظهر وبني عليه مشهد في الدولة الفاطمية .

وهناك رواية تقول إن أصحابه بعد استشهادهم قرب الكوفة ، حفروا له ساقية ودفنوه فيها وأجروا الماء على قبره خوفاً من التمثيل به . ثم أرشد عن قبره يوسف بن عمر أمير

الكوفة ، أرشده عنه حجام حضر مواراته ، فأخرجه أمير الكوفة وصلبه ثم أحرقه وذرى رماده في الفرات . وقيل إن أمير الكوفة بعد إحراقه ذرى نصفه في نهر الفرات ، ونصفه في المزارع ، وقال الأمير يوسف بن عمر : والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم (يقصد الزرع) وتثربونه في مائكم (يقصد مياه الفرات) .

ومشهد زين العابدين عرف قديماً باسم مسجد محرس الخصى . . وعليه نص تاريخي يقول إنه أنشئ عام ٥٤٩ هـ .

وكان حتى زين العابدين يعرف في أوائل العصر الإسلامي باسم الحمراء القصوى ، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الفسطاط « مصر القديمة الآن » ، وعليها أسس العباسيون مدينة العسكر ثانية عواصم مصر الإسلامية .

والمسجد الموجود حالياً يرجع إلى أوائل القرن ١٩ الميلادي ، جدده وبني معظم مبانيه عثمان أغا مستحفظان . ولم يعد باقياً من العمارة القديمة الفاطمية إلا عقد واحد ، يوجد بالطريقة الداخلية على يمين الداخل إلى رواق القبلة . أما القبة التي تعلو الضريح ، فترجع إلى العصر المملوكي في القرن الثامن الهجري . وفي أواخر القرن ١٣ الهجري ، تم عمل مقصورة جديدة للضريح ، هي نموذج لصناعة الحديد المزخرف بمصر أنشأها محمد قفطان باشا عام ١٢٨٠ هـ - ١٨٠٥ م ، وكسا عتب باب القبة ببلاطات من القيشاني الأزرق العثماني الجميل . وبداخله مقبرة بناها لنفسه ولزوجة عثمان أغا أمير اللواء مستحفظان مصر ودفن فيها هو وزوجته .

وأمر الملك فاروق بتحديد واجهة المسجد عام ١٩٤٤ م ، وجدد معها الباب القديم مع المحافظة على تفاصيله القديمة .

ويحمل الحى كله اسم حتى زين العابدين نسبة إلى الإمام زيد هذا . . بل إن الاسم الشائع ، وهو اسم زينهم وتلال زينهم أصلها أن الناس كانت تصف الإمام زيد بأنه زين الرجال . . وزين العابدين . . ومن هنا جاءت كلمة زينهم . .



حي زين العابدين المديح أو الجزر الرئيسي للقاهرة قبل نقله إلى حي البساتين جنوبي القاهرة .